

طارق أحمد عثمان

تاريخ الخدمة في السودان

ساقنا واثامون
الخرطوم

تاريخ الختمية في السودان

طارق أحمد عثمان

تاريخ

الختمية

في السودان

منشورات دار ساقنا و المأمون

الخرطوم ١٩٩٩

الأهداء

إلي روح والدي
وأنا أشعر بها ترفرف حولي

تمدني بالخير والصدق والوفاء

شكر

لا بد لي وأنا أقدم هذه الطبعة الثانية للقراء الكرام أن أشكر عدداً من الأساتذة والإخوة الذين أعانوني في عملي هذا ، وعلي رأس هؤلاء استاذي الدكتور حسن مكي محمد أحمد والذي وجدت فيه كل صفات العالم العامل الأمين الصادق الذي يتمثل القرآن في حياته قولاً وعملاً وفكراً ، وقد كان لي بمثابة الأخ الأكبر ، والمرشد والموجه ، ثم إنني اعترف بعنايته البالغة بي واهتمامه الشخصي بما أنجزت وبما سوف أنجز ، ولا أستطيع في هذا المقام أن أوفيه حقه ، ولا أملك إلا أن أحبه حب التلميذ لشيخه علي مابذل وقدم .

وأثني كذلك علي الشيخ البروفيسور / حسن الفاتح قريب الله سليل البيت الطيبي الطاهر وأحد قيادات الجماعة السمانية في السودان ، وأسوق الشكر أيضاً وافراً للأستاذ الجليل الدكتور / علي صالح كرار مدير دار الوثائق المركزية ، وللدكتور أحمد الميرغني والسيد محمد الأمين الميرغني من آل الميرغني وللبروفيسور / يوسف فضل حسن والدكتور / زين العابدين عبدالحميد السراج الذي وقف إلي جنبي معيناً ومرشداً والدكتور / الناصر أبوكروق ، أسال الله لهم جميعاً أن يثيبهم علي ماقدموا وأن يجزيهم خير الجزاء ...

طارق أحمد عثمان

الخرطوم ١٩٩٨ م

بين يدي الكتاب

لقد كان إقبالي علي دراسة طائفة الختمية وتاريخهم ونقد آرائهم ومواقفهم وتحليلها ، نتيجة لإلماع لطيف. وإشارة موفقة من لدن الدكتور حسن مكي محمد احمد الذي أشرف فيما بعد علي الدراسة ورعاها بعد أن كانت مجرد فكره .

والواقع أن تاريخ الختمية يخشي الباحث الأمين من تناوله ولايقدم علي ذلك إلا بعد تردد ومراجعات عدة ومرد ذلك التخوف يرجع إلي أن تاريخ هذه الطائفة مشوب بالسياسة مرتبط بالحكم ووسائطه ، والسلطة وعدتها ، لذلك يتعثر علي الباحث في أكثر الأوقات في مثل هذه الدراسة ، من أن يحصل علي معلومات خالية من التلغيق أو الزيادة أو التحوير ، وتكثر أمامه الآراء التي يغلب عليها الهوي والميل الحزبي والطائفي من المعارضين والمؤيدين علي حد سواء فيصيح انتقاء الحقيقة المجردة صعب في مثل هذا الجو القاتر والأمواج المتلاطمة .

هذا لايعني أن الدراسات العلمية قصرت عن الإحاطة بتاريخ الختمية بل علي العكس تماما ، فلقد نهض عدد من المؤرخين بعبء الكتابة عن الختمية ، من أبرز هؤلاء جون فول و الذي جعل عنوان أطروحته الجامعية (تاريخ الطريقة الختمية في السودان) ، ونال الباحث علي صالح كزار درجة الدكتوراة عن دراسته المتميزة (الطرق الصوفية في السودان حتي عام ١٩٠٠ / مع التركيز علي منطقة الشايقية) . هناك أيضا البحوث الجليلة التي قام بها العالم الكبير أبو سليم في تحقيق تراث الختمية أضف إلي ذلك المجهودات القيمة التي بذلت للتعريف بمدرسة أحمد بن إدريس وتعاليمه ، ومن أوضح الذين قاموا بهذه المجهودات الدكتور حسن مكي المتخصص في شؤون القرن الإفريقي والدكتور يحيي محمد إبراهيم وأيضا الدكتور علي صالح كزار الذي كتب عن الطريقة الإدريسية في السودان .

وللختمية إرث أدبي وفكري ضخم ، ويمتلك الختمية والسمانية نون غيرهما ، أكبر قدر من المؤلفات والمصنفات الصوفية ، مما يدل علي غزارة المادة العلمية التي توفرت عند مشائخ هاتين الطريقتين .

أما بالنسبة لتاريخ الختمية من أفواه اتباعها فإن أوضح مصنف يظهر لنا في هذا المجال ، هو مصنف (الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية) لمؤلفه خليفه الخلفاء أحمد بن محمد النصيح المشهور بابن إدريس الرباطابي وهذا الكتاب طبع طبعتان الطبعة الأولى كانت بواسطة الختمية أنفسهم الذين اعتمدوا علي نسخة كانت موجودة في مكتبة السيد علي الميرغني بالإسكندرية وهي بخط المؤلف نفسه ، ولقد قام بعملية التحقيق الدكتور ابوسليم والكتاب فيه إشارات واضحة إلي طريقة بداية الختمية في السودان ، وارتيريا وكيف ازدهر وتنامي عدد اتباعها علي يد مؤسسيها

الأساسيين في السودان محمد عثمان وابنه محمد الحسن .
والكتاب علي جهة العموم مرجع هام جدا لكل راغب في الاطاحة بتاريخ الختمية وفيه معلومات دقيقة ومفصلة لانجدها إلا في هذا السفر العظيم عن المراجعة وبورهم في السودان ، ولقد أخطأ من قبل جون فول حينما لم يعتمد علي ابن إدريس النصيح في إيراده للتواريخ والمعلومات ، فهو لم يقف علي الإبانة ومن هنا تتبع أهمية هذا المؤلف .

وتوجد دراسات اخري لمعاصرين من أمثال الدكتور أحمد محمد أحمد جلي ، والذي كتب كتابا تحت عنوان (طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها) يتناول هذا الكتاب الختمية مع التركيز علي تعاليمها ومعتقداتها ووزنها بميزان الشرع ومعرفة مدى مطابقة هذه الأفكار للشريعة الإسلامية ، أما نور الطائفة السياسي وحركتها الدينية يأتي في هذا الكتاب بصورة موجزة مع إشارات عامة لابرز سمات العمل السياسي للطائفة ، ولاتخلو هذه الدراسة من عيوب ونقص ، ويبدو وكأنها كتبت للنيل من مسارات الختمية وأنشطتهم السياسية ، ولقد افاض المؤلف ، وتوسع عند كلامه عن عقائد الختمية وحل افكارهم تحليلا كبيرا ونسب إليهم عددا من الآراء الفلسفية ، وقد بينت بعض اقوال الدكتور جلي وردت عليها ، وهناك أيضا كتاب اخر لاحد انصار الختمية هو السيد محمد حامد محمد خير بعنوان (الختمية العقيدة والمنهج والتاريخ) . وهو يتكلم بلغة الدفاع والنصرة عن طائفته مما يفقده أهم السمات العلمية التي يجب أن يتصف بها البحث الجاد ويبدو لي أنه عندما يتناول سيرة مشائخ الختمية فهو يعتمد علي الروايات الشفهية ، لكن دراساته هذه توضح جزءا من انماط التفكير والتحليل عند الختمية .

الواقع أن الحركة الدينية الكبيرة التي قادها البيت الميرغني في السودان ، شكلت ظاهرة فردية ، وعبرت عن تيار متميز في تاريخ الدراسات السودانية ، إن الوجود الضخم لاتباع طائفة الختمية ، والامتداد الكبير لهذه الجماعة علي جميع المستويات ، والتأثير البالغ الذي بدأ واضحا عند أغلب أهل السودان نتيجة لاهتمامات هذه الطائفة ، كل هذه الأشياء تقود المرء أن يتحسس مصادر القوة والدفع التي جعلت من الطريقة الختمية تأخذ هذا الحيز الكبير في نفوس السودانيين وتجد هذا القبول المتعظم في وقت من الأوقات من تاريخ هذا البلد . إن الطريقة الختمية إسلامية المنشأ والأصل ، واعتمدت في فكرها وخطابها وعملها علي الدين الإسلامي الحنيف مما خلف أعظم النتائج علي أهل السودان في أحداث الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي ، ولقد أورثت الطريقة الختمية الذهنية السودانية حتي منتصف هذا القرن دينا وعلماً ، وربطت هذه العقلية بالإسلام أكثر فأكثر ونمت بها حب الإسلام وشريعته

مقدمة:

بواكير الدعوة الإسلامية في السودان

أ) دخول الإسلام إلى السودان :

مع بدايات ظهور الإسلام في مناطق شبه الجزيرة العربية كانت البلاد التي يمكننا أن نطلق عليها اسم (السودان الشرقي) أو (سودان وادي النيل) تتكون من أرض البجة - والتي تشمل تقريبا موطنهم الحالي - وثلاث ممالك أمتد نفوذها ووجودها بين (أسوان) و (سنار) والممالك الثلاث هي :

أولا : مملكة المريس (نوباتيا) وقد أتحده مع المملكة الثانية (المقررة) وكونتا مملكة النوبة وعاصمتها دنقلة ، أما المملكة الثالثة فهي علوة وعاصمتها سوبا (١) .

ولقد استطاعت المسيحية مع بداية القرن السادس الميلادي أن تصبح الديانة الأولى الأعظم إنتشارا بين سكان مملكتي النوبة وعلوة وأن يعتنقها القليل من أبناء البجة ، ولهذا عندما جاء الإسلام عبر الفتوح الإسلامية إلى تلك المنطقة وجد أن المسيحية قد تأسلت وتعمقت بجنور ثابتة وقوية ، وغدت من المكونات الأساسية للجماعات النوبية (٢)، ولعل هذا يوضح لنا حقيقة الهجمات التي قام بها النوبة علي صعيد مصر التي كانت في الواقع تعبر عن صور من صور التعاطف الديني لدي النوبيين تجاه أقباط مصر الذين تعرضوا للهزيمة من قبل الجيوش الإسلامية سنة ٦٤١ (٣) لقد كان هناك ارتباط وثيق وحميم بين الكنيسة النوبية وكنيسة الإسكندرية الشيء الذي دفع الأولي الي مقاومة الحملات الإسلامية علي أراضيها والوقوف في وجه الفاتحين للمسلمين .

والواقع إن الإسلام لم يتسرب الي هذه البلاد عن طريق مصر وحسب لكن هناك طريقين آخرين دخل الإسلام من خلالهما إلى منطقة السودان الشرقي :

أولهما : طريق يأتي من الحجاز عبر البحر الأحمر عن طريق مؤاني باضع وعيذاب وسواكن .
ثانيهما : من المغرب عبر أواسط بلاد السودان (٤).

(١) يوسف فضل حسن (بروفيسور) : دراسات في تاريخ السودان ج ١ . ط أولي (الخرطوم : دار

: الطباعة جامعة الخرطوم ١٩٧٥م ص ٢٤ ، ٢٥

(٢) يوسف فضل حسن (بروفيسور) نفسه ص ٢٥

(٣) يوسف فضل حسن (بروفيسور) من معالم تاريخ الإسلام في السودان المجموعة الأولى يوسف فضل

وآخرون (الخرطوم - دار الفكر للطباعة والنشر) اغفلت تاريخ الطبع ص ٢١ ، ٢٢

(٤) ودضيف الله ، محمد النور : مقدمة كتاب الطبقات حقه وعلق عليه أ. د. يوسف فضل ط أولي (

الخرطوم قسم التأليف والنشر ١٩٧١م) ص ٢ الطابعون دار الطباعة جامعة الخرطوم

ولقد قاد المسلمون عبر مصر بعد أن تم لهم فتحها ، حملات تآديبية لبلاد النوبة ولاقت رغبة الخليفة عمر رضي الله عنه مع رغبة قائده في مصر عمرو بن العاص بضرورة غزو أراضي النوبة لضمان المحافظة علي أطراف مصر من ناحية الجنوب وتأمين طريق التجارة القديم بين البلدين (٥) ولن يكون ذلك إلا بأسكات اعتداءات النوبة ، وتتفق المصادر العربية ، أن حملتين رئيسيتين قد دخلتا أرض النوبة ، أولاهما : في ولاية عمرو بن العاص بأمر من أمير المؤمنين كما وضحنا من قبل والتي كانت في ٢١هـ / ٦٤١م .

والثانية : في عهد عبدالله بن سعد بن أبي سرح عام ٣١هـ / ٦٥١م .
لم تفلح الحملة التي سيرها عمرو بن العاص بقيادة عقبة بن نافع في وقف تحرشات النوبة مما دفع عبدالله بن سعد بن أبي سرح إلي توجيه حملة المسلمين الثانية علي بلاد النوبة (٦) وتمكن جيش ابن أبي السرح من التوغل جنوبا حتي دنقلة عاصمة الدولة المسيحية الشمالية المقررة وحاصرها حصارا شديدا واستخدم المنجنيق في ضرب المدينة فخرت كنيستهم مما دفع ملكهم الي الصلح مع المسلمين الذين وقعوا معهم عقدا عرف في التاريخ باسم (البقط) (٧) والذي كانت من أهم بنوده أن يدخل الطرفان المتحاريان أرض الطرفين مجتازين غير مقيمين وأن يحافظ النوبة علي المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتهم وأن لا يمتنعوا عنه مصليا وعليهم كنسه واسراجه وتكرمه وعليهم دفع ٣٦٠ راسا من أواسط رقيقهم يدفعونها إلي امام المسلمين (٨).
أعقب هذه الهزيمة إقبالا من العشائر العربية علي شراء الأراضي من النوبيين في منطقة المريس والإستييطان فيها ، وهناك صاهروا النوبيين واختلطوا بهم ، وإلي هذه المجموعة يرجع الفضل في نشر الدين الإسلامي في تلك البقاع.
لقد كان لبني الكنز وهم فرع من ربيعة ، النصيب الأكبر في تدعيم النفوذ الإسلامي أواسط النوبة الذين سمحوا لهم بالزواج منهم والإختلاط بهم (٩).

(٥) مصطفى محمد مسعد (دكتور) : الإسلام والنوبة في العصور الوسطي ، بحث في تاريخ السودان وحضاراته حتي أوائل القرن ١٦ ميلادي ، (القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠م) ص ١١١

(٦) يوسف فضل (بروفيسور) : الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام في السودان (أعد المقالات للنشر مدثر عبدالرحيم والطيب زين العابدين ، ط أولي الخرطوم : دار الأصاله ١٩٨٧) ص ١٤ بحوث من المؤتمر الأول لجماعة الثقافية الإسلامية - الخرطوم نوفمبر ١٩٨٢م)

(٧) مصطفى محمد مسعد (دكتور) : مصدر سابق ص ١١٢

(٨) يوسف فضل (أ. د) : الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام في السودان ص ١٥ ، ١٦

(٩) أحمد عثمان إبراهيم : تطور الوعي القومي في السودان (ودمدني : مطابع دار النيل الأزرق للطباعة والنشر) (أغفلت تاريخ الطبع) ص ٢٣

أما البجة فلم تسلم حدود مصر الجنوبية من هجماتهم فلقد تعرضت لغاراتهم في حوالي سنة ٧٢٤م وصالحهم ابن الحبباب ووقع معم عقدا ، ولكنه مالبثوا أن أعانوا هجماتهم علي جهة اسوان فجرد عليهم المأمون حملة بقيادة ابن الجهم في العام ٢٢٢ هـ (٨٤١م) ف وقعت بينهم معارك انتهى أمرها بموادعتهم وكتابة عقد مع رئيسه كنون بن عبدالعزيز (١٠).

وأبان حملة ابن الجهم اكتشف العرب الذهب والزمرد في أرض المعادن ببلاد البجة ، مما جعل جموع المسلمين الراغبين في المال في التدفق تجاه البلاد ، وقاد نجاح بعض المهاجرين إلي توالي المزيد من الباحثين عن الثراء ، قد أسهم ذلك بدوره في نشر الإسلام بين السكان الأصليين بعد أن تم التزاوج والتصاهر بينهم وبين العرب (١١) .

لقد استطاعت هذه الهجرات الإسلامية المتعاقبة علي بلاد السودان أن تؤدي بأهله في نهاية أمرهم إلي اعتناق الإسلام ، وإلي إنهيار الممالك السودانية المسيحية تحت تأثير المد البشري المتزايد لجماعات المسلمين ، كان نتيجة لهذه الهجرات أيضا قيام ثلاث ممالك إفريقية إسلامية هي ممالك الفونج ، وتقلي ، ودارفور (١٢).

لقد كانت هناك أسباب رئيسية دعت المسلمين إلي الانتقال إلي أرض السودان الشرقي ، ومن أهم هذه الأسباب :-

- ١- الحملات الحربية التي جاءت من مصر إلي شمال السودان وشرقه .
- ٢- البحث عن الاستقرار ولقمة العيش ، فلقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه لايسمح للمحاربين بامتلاك الأراضي في البلدان المفتوحة ، مما دفعهم إلي الهجرة جنوبا التماسا للرزق .
- ٣- الضغوط السياسية التي مارسها بعض الخلفاء تجاه العرب أمثال المعتصم وغيره ، لقد كانت هذه الضغوط سببا في نزوح العرب جنوبا هربا من عسف الحكام وظلمهم (١٣)

(١٠) مصطفى محمد مسعود (دكتور) : الإسلام والنوبة في العصور الوسطي ص ١١٦

(١١) يوسف فضل حسن (أ . د) : دراسات في تاريخ السودان ص ٣٦ ، ٣٨ .

(١٢) محمد عمر بشير (أ . د) العلاقات العربية الإفريقية - دراسة تحليلية - (جامعة الخرطوم : معهد

الدراسات الإفريقية والآسيوية ١٩٨٤م) ص ٣٢

(١٣) أحمد عثمان إبراهيم : مصدر سابق ص ١٩ - ٢٠

(ب) العلماء :

لم تدون لنا كتب التاريخ أسماء لعلماء وحفظة قراء ومتصوفة من الذين وفدوا علي السودان مع الهجرات العربية المتلاحقة ، وأن كل ما نون عن رجال الدين في السودان قد جاء متأخرا واعتمادا علي الذاكرة ، وحتى عندما كتب وبضيف الله طبقاته في ذلك الوقت المتأخر من تاريخ الإسلام في السودان كان بعض القرييين إلي عهده قد انقطعت اخبارهم ، وقد أشار هو نفسه إلي هذا الانقطاع وعزاه لبعد الفترة الزمنية ، لقد كان كتاب الطبقات علي حد علم صاحبه لذلك هو لم يورد اخبارا لعلماء ومتصوفة وفقهاء ، عاشوا في مناطق تبعد عنه ، وتخرج عن إطار علمه (١٤).

يري المؤرخون أن مدرسة غلام الله بن عائد في دنقلا كانت أولي المدارس العلمية في السودان ، ولقد كان وجودها في القرن الرابع عشر الميلادي ، وبعد مضي قرنين من الزمان جاءت مدرسة أولاد جابر بتأثيرات مصرية ، ولقد كان مقرها بجزيرة ترنج قرب الكاسنجر بديار الشايقية ، ثم جاءت مدرسة نوري التي أنشأها عبدالرحمن ود حمدتو الخطيب ، ولقد تفرعت هذه المدرسة عن مدرسة أولاد جابر وبقيت هذه المدرسة لأكثر من قرن ومن أوضح الذين درسوا بها حمد الأغيش ، وإبراهيم بن عبودي الفرضي ، وقد أسس مدرستين مستقلتين ، وحمد المجنوب مؤسس الطريقة المجنوبية ، ومن الذين تلقوا المعارف وأخذوا العلوم في مدرسة أولاد جابر ، أبو إدريس العركي ويعقوب بان النقا ، والشيخ صغيرون مؤسس مدرسة القوز وهو أستاذ أرباب العقائد والذي تخرجت علي يديه أعداد غفيرة من العلماء من بينهم حمد أم مريوم وخوجلي عبدالرحمن وفرح ولد تكتوك (١٥).

لقد استقبل السودان عددا كبيرا من العلماء الوافدين إليه والذين عملوا علي نشر الإسلام وتثبيت أركانه وترسيخ قيمه وأفكاره ، وامتدادها بين السكان ، ومن أبرز هؤلاء الذين قادوا حركة الدعوة إلي الله من الوافدين عيسى ود كنو الحضرمي والذي ينسب إليه إدخال رواية ورش التي يقرأ بها أهل شمال دنقلا والمحس ، ومنهم أيضا الشريف حمد أب دنانة الحجازي والشيخ التلمساني المغربي ، والشيخ مصطفى الحجازي وغيرهم (١٦).

أهتم العلماء الأوائل بتحفيظ القرآن للنشء وتدريسهم مبادئ الفقه والتوحيد في إطار مذهب الإمام

(١٤) محمد إبراهيم أبوسليم (أ . د) بحوث في تاريخ السودان ط أولي (بيروت دار الجيل ١٩٩٢) ص ٢٣

(١٥) محمد إبراهيم أبوسليم : مصدر سابق صفحات ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧

(١٦) الطيب محمد الطيب : المسيد ط أولي (الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩١) ص ٧٨ ، ٨١

مالك والذي أرتضته غالبية السودانيين لقد كان معظم القادمين علي السودان هم من صعيد مصر الذي عرف باتباعه لتعاليم المذهب المالكي ، لذلك لقد قدر لهذا المذهب أن ينتشر ويجد القبول علي يد هؤلاء ، كما أن الرواد الأوائل من الفقهاء بسواء من درس منهم في مصر مثل محمود العركي وإبراهيم البولاد ومحمد صغبيرون ، أو من جاعوا ووفدوا من مصر نحو محمد القناوي المصري ، كانوا من أتباع مذهب مالك وقد أدخلوا تدريس كتابي الرسالة ومختصر خليل في مدارس العلم التي قامت في السودان ولقد كان علماء المغرب الوافدين علي هذه البلاد من المالكية أيضا ، وقد اعتنقت قلة قليلة من السودانيين المذهب الشافعي (١٧)

(١٧) يوسف فضل حسن (د . أ) الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام في السودان ط أولي اعداد
مدثر عبدالرحيم / الطيب زين العابدين (الخرطوم : دار الأصاله ١٩٨٧) بحوث من المؤتمر الأول لجماعة
الفكر والثقافة الإسلامية الخرطوم ١٩٨٢ م ، ص ٢٦

(ج) الطرق الصوفية:

اعتمد الإسلام في السودان الشمالي على الطرق الدينية وهي عبارة عن جماعات جمعهم الاطمئنان الي خصال وفضائل شيخ وقائد بعينه يؤتون بعض الطقوس المشروعة بشكل جماعي (١٨) ويعتبر التصوف في السودان متنفساً طبيعياً ، واتجهاً حتمياً للمزاج الديني والنزعة الروحية التي ظلت تجلج المجتمع السوداني (١٩)، ولقد عرف السودان التصوف مع بداية معرفته للإسلام علي نحو مايري الدكتور عثمان سيداحمد إذ يظن أن التطور التاريخي للإسلام يدفعنا إلي القول بأن الصوفية وجدت طريقها إلي السودان عقب إنتشار الإسلام ودخوله مباشرة (٢٠) ويرى الدكتور أبوسليم أن الحركة الصوفية مرت في خلال مسيرتها المتطورة في السودان- بثلاث مراحل ، مرحلة أولي :

لا تتوفر معلومات عنها لإنقطاع الأخبار وهذا بالتأكيد لايعني أن السودانيين لم يشهدوا في هذه الفترة حركة صوفية ، بل لقد مارسوا الحياة الصوفية كاملة بما فيها الإنتساب إلي الطرق والإشتغال بمذهب أهل الباطن في الحياة مرحلة ثانية :

أخذت فيها الطرق تظهر وتنمو وتتشعب وتأخذ اتجاهات جديدة علي نحو مانجد في الطريقة الشاذلية والتي اهتمت بالجوانب العلمية لأن مؤسسها كان عالماً ثم جاءت .

المرحلة الثالثة : والتي ظهرت نتيجة لمؤثرات الحجاز القوية في أواخر القرن السابع عشر ، ولقد كانت الطرق التي ظهرت في هذه الفترة ذات اتجاه تجديدي مثل السمانية والختمية والإسماعيلية ، ولقد أهتمت هذه الطرق اهتماماً كبيراً بالدعوة ونشر تعاليمهم ومبادئهم (٢١) ، أما البدايات المبكرة جدا للجماعات الصوفية في السودان فلقد ظهرت عبر الطريقة البكرية التي لم يكتب لها البقاء والاستمرار لأكثر من ثلاثة خلفاء بسبب حداثة معرفة السودانيين لمثل هذه الطرق القائمة علي

(١٨) زكي بحيري (دكتور) : التطور الإقتصادي والإجتماعي في السودان من الأزمة الاقتصادية العالمية وحتى الاستقلال ١٩٣٠ - ١٩٥٠ ط أولي (النهضة المصرية ١٩٨٧) ص ٣٦١

(١٩) حسن محمد الفاتح قريب الله : التصوف في السودان الي نهاية عصر الفونج ط أولي ، مطبوعات كلية الدراسات العليا جامعة الخرطوم ١٩٨٧ م) ص ٨

(٢٠) عثمان سيداحمد (دكتور): الدين والسياسة نشأة وتطور الختمية والأنصار مطبوع بالآلة الكاتبة ص ١٠

(٢١) محمد ابراهيم أبوسليم (أ . د) : (دور العلماء في نشر الإسلام في السودان) في بحوث في تاريخ

السودان ط أولي (بيروت دار الجيل ١٩٩٢) ص ٢٥

(٢٢) حسن محمد الفاتح قريب الله : مصدر سابق ص ٣٢

أساس التنظيم الجماعي (٢٢) ويعتبر تاج الدين البهاري رائد العمل الصوفي في السودان وهو الناشر الأول للطريقة القادرية أكثر الطرق ذيوماً وانتشاراً في السودان ، ولقد قدم هذا الشيخ إلى السودان كما يري الشاطر البصيلي في العام الهجري ٩٨٠ (٢٣) أو في سنة ١٥٧٧م كما يظن الدكتور عبدالعزيز عبدالمجيد (٢٤) ولقد تزوج وأقام بالجزيرة مدة سبع سنين أعطي خلالها طريقته القادرية لخمسة رجال منهم الشيخ محمد الهميم والشيخ بانقا الضرير (٢٥) ولقد أراد أن يدخل بعض السودانيين الآخرين في طريق القوم مثل الشيخ عبدالله بن دفع الله العركي ولكنه رفض معتذراً بأنه فقيه ولا يقبل مع الفقه علماً آخر يشغله عن الفقه ولكنه لما أحس بالمكانة التي تبوأها من سلك علي يد البهاري فضل أن يكون من أهل هذه الطريقة ولحق بتاج الدين بأرض الحجاز ولكنه وجده قد توفي فأخذ الطريق عن خليفته حبيب الله العجمي وعاد إلى السودان مرشداً للناس في علمي الظاهر والباطن (٢٦) .

ويعتقد أن الطريقة الشاذلية دخلت السودان قبل قيام مملكة الفونج (٢٧) وقد أخذها الشيخ حمد ابن المجنوب من الشيخ علي الدراوي تلميذ السيد أحمد بن ناصر الشاذلي (٢٨) ، ولقد ازدهرت هذه الطريقة في منطقة الدامر علي يد المجاذيب حفدة الشيخ حمد حتي باتت تعرف وتشتهر بالطريقة الجنوبية (٢٩) .

ويظن عدد من الباحثين ان الطريقة الشاذلية دخلت السودان علي مراحل وكثيرون منهم يعنون فرع الشيخ خوجلي (ت ١٧٤٣م) سابقاً لفرع الشيخ حمد المجنوب (ت ١٧٧٦م) (٣٠) ، ولكن الواضح أنها الطريقة الأولى التي دخلت إلى السودان كما ذكرنا وعلي نحو مانجد في الروايات أن أحدي بنات أبي عبدالله محمد بن سليمان الجزولي تزوجها الشريف حمد أبي دنانة الذي نزع مع

(٢٣) الشاطر بصيلي عبدالجليل : مخطوطة كاتب الشونة ص ٤

(٢٤) عبدالعزيز عبدالمجيد (دكتور) : التربية في السودان ص ٦

(٢٥) وضييف الله ، محمد النور : كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان حققه وعلق عليه وقدم له بروفيسور يوسف فضل حسن ط الثالثة

الخرطوم : دار جامعة الخرطوم ١٩٨٥م ص ١٢٨

(٢٦) وضييف الله ، محمد النور: مصدر سابق ص ٢٥٢ ، ٢٥٣

(٢٧) يوسف فضل حسن : دراسات في تاريخ السودان ص ٧٦

(٢٨) وضييف الله ، محمد نور : مصدر سابق ص ١٨٨

(٢٩) يوسف فضل : دراسات في تاريخ السودان ص ٧٦

(٣٠) حسن محمد الفاتح: مصدر سابق ص ١١٨

ابنه إلي السودان وسكننا في سقادي غرب (المحمية الآن) وذلك في سنة ١٤٤٥ هـ (٣١) ويرجع الدكتور حسن الفاتح قريب الله أن يكون عبدالله الشريف هو أول رائد للشاذلية في السودان وهو الذي أشار إليه ابن ضيف الله (٣٢).

أما السمانية فقد نشر تعاليمها الشيخ أحمد الطيب البشير الجموعي عام (١٧٩٣ - ١٨٥٣) الذي تلقى تعليمه في المدينة المنورة علي يد مؤسس الطريقة الأول الشيخ محمد عبدالكريم السمان ولقد كانت السمانية مظهراً من مظاهر الإصلاح الديني الذي اجتاحت الولايات الجنوبية من الدولة العثمانية (٣٣) ، ولقد اشتهر البيت السماني بالعلم والتقوي والأدب ، ولقد أخذ الشيخ أحمد الطيب العلم عن جده الشيخ محمد ولد سرور وأرتحل إلي مسجد الشيخ العزازي بأبم طلحة بالجزيرة ثم قصد المدينة ومكث فيها سبع سنين ، ولقد كان يقوم بعلاج الناس عقب عودته بالدعاء لهم بالبركة والشفاء ويروي انه عالج أخ الشيخ الناصر ولد محمد أبي لكلك (٣٤) ، ولقد وجدت الطريقة السمانية قبولا وإستحسانا عند بعض القبائل العربية في السودان مثل الجموعية والحلاوين واليعقوباب (٣٥).
شاع التصوف في السودان شيوعاً عظيماً وظهرت آثاره علي حياة الناس وعلي طرائق تعبدهم وسلوكهم الديني ، وسادت في أجوائهم المصطلحات والعبارات الصوفية التي تدل علي الواقع الصوفي العميق والقوي عند السودانيين ، ولقد انتشرت عدد من الأسفار ذات المضامين الصوفية نحو كتب عبدالوهاب الشعراني التي من بينها كتاب الطبقات الكبرى ، وكتاب لطائف المنن والأخلاق في بيان التحدث بنعمة الله علي الأطلاق (٣٦).

ومن كتب الوطنيين في التصوف (كتاب الطبقات لود ضيف الله) الذي يترجم فيه لعدد من أهل العلم والفقه والتصوف والشعر وهو يفيض حديثاً عن كرامات الأولياء وخوارق أفعالهم، ويرى الاستاذ / برات أن الكتاب يفتقر إلي الوضوح والمنهجية وتسوده الفوضى وانعدام الرؤية العلمية الصحيحة (٣٧) .. غير أن الكتاب في رأينا جهد سوداني خالص لمؤلف وطني يعبر عن ماساد في

(٣١) نفسه : نفس الصفحة

(٣٢) يوسف فضل حسن (أ. د) : دراسات في تاريخ السودان ص ١١٩

(٣٣) يوسف فضل حسن : دراسات في تاريخ السودان ص ٧٦ ، ٧٧

(٣٤) زكي البحيري (دكتور) : مصدر سابق ص ٣٦٣

(٣٥) يوسف فضل حسن : دراسات في تاريخ السودان ص ٧٦ ، ٧٧

(٣٦) يوسف فضل (أ. د) : المصدر السابق ص ٧٧

(٣٧) محمود عبدالله برات : تعليم الفتاة في السودان (أهدافه ومناهجه من منظور إسلامي) ، في

الإسلام في السودان ، ط أول ، أعد المقالات للنشر بروفيسور / مدثر عبدالرحيم ، د. الطيب زين العابدين

(الخرطوم دار الأصالة ١٩٨٧) ص ١٨٣ ، أصل هذه البحوث قدمت في المؤتمر الاول لجماعة الفكر

والثقافة الإسلامية بالخرطوم ٢٧ - ٣٠ ديسمبر ١٩٨٢

عصره من اعتقادات و أفكار ويصور بوضوح حقيقة الفكر الإسلامي عند السودانيين في تلك الآونة. ويمكننا في نهاية هذا الوصف لإنتشار الحركة الصوفية في السودان أن نقول إن الطلائع الأولى من المتصوفة سَعَوْا إلى نشر وتعميق مبادئ العقيدة الإسلامية بطرق سهلة وميسورة أساسها إلزام المريدين في اتباع منهج أخلاقي وسلوكي خاص مع المداومة علي تلاوة أذكار وأوراد معلومة . يرى الصادق المهدي أن التصوف في السودان قد حقق عدة غايات أهمها :

- نشر الإسلام في السودان سلميا وشعبيا .

- إقامة قنوات قاعدية للتعليم الديني والارشاد وتوسيع النظم الاجتماعية السودانية مع تحقيق وحدة ثقافية إسلامية لأن الطرق مع تعددها تجتمع علي مصادر ثقافية موحدة ، لكن أزاء هذه الايجابيات برزت عدة سلبيات أهمها كما يظن التسامح الذي عرف عند المتصوفة فتح الباب لكثير من العادات الوثنية والتقاليد الجاهلية لتجد طريقها الي عقائد الناس ، كذلك أمام المكانة الكبيرة للشيخ عند الناس فتح المجال للدجل والاحتيال علي عقول البسطاء (٣٨) .

في رأينا أن رياح التصوف التي غمرت السودان منذ بدايات دخول الإسلام وانتشاره قد أسهمت وحدها بالاضافة إلي بعض المجهودات الفردية من العلماء ، في ترسيخ وتدعيم ، وتعميق الإحساس بالانتماء الي الإسلام ، وبالاتصال بمناهج الفكر الإسلامي في زمن مبكر لم تنتج معه وسائط اتصال للتعرف علي مصادر المعرفة عند المسلمين ، ولقد جفرت الصوفية السودانيين ودفعتهم الي اقتناء الكتب و الإهتمام بها وتعظيمها ، وحببت العلم اليهم وزينته في نفوسهم رغبة في الاستزادة من نور الإسلام ، والنهل من معين الدين الصافي وهكذا فقد عمل التصوف في السودان علي ربط الناس بدينهم وتعريفهم به وعلي ايجاد العاطفة الدينية المتأججة في قلوب الناس.

(٣٨) الصادق المهدي : مستقبل الإسلام في السودان ط أول (مؤسسة المدينة للصحافة ١٩٨٣) ص ١٨ ،

الفصل الأول

الختمية نشأتها وتطورها وأهم معتقداتها :

المبحث الأول : نشأة الختمية وتطورها

المبحث الثاني : الأصول الفكرية للطائفة وأهم تعاليمها

المبحث الأول

نشأة الختمية وتطورها

يرجع الفضل في تأسيس طائفة الختمية الي السيد محمد عثمان (الختم) وهو ينحدر من أسرة عريقة في نسبها ، وعظيمة في مكانتها لقد تمتعت هذه الأسرة بمنزلة رفيعة بسبب نبوغ رجالها واشتهارهم بالعلم والصلاح ، ولإنتماء هذه الأسرة إلي الدوحة النبوية ومصادر الطائفة تورد بسلسلة نسب طويلة لمحمد عثمان الميرغني تصل في نهايتها الي الحسين بن فاطمة الزهراء بنت الرسول (صلي الله عليه وسلم) (١) لقد قويت سلسلة نسب البيت الميرغني لدي الشريف المرتضي الزبيدي واعتمدها بعد أن راجعها ، ولايشك أحد من المعاصرين لهذه الأسرة في صدق انتماؤها الي أسرة الأشراف ذات الوزن الاجتماعي والديني والسياسي (٢) يظن الدكتور جلي (٣) أن سلسلة المراغنة تعترضها بعض الإشكالات :

أولا : يوجد اضطراب في عدد هذه السلسلة إذ أن فيها ثلاثة أسماء وردت في رواية السيد جعفر في لؤلؤة الحسن الساطعة لم ترد في الروايات الأخرى ، كما أن الاسم (حسن) ورد في روايات أخرى باسم (عيسى) والاسم (بكر) ورد باسم (أبي بكر) .

ثانيا : إن سلسلة هذا النسب تثبت أن الحسن الخالص أو الحسن العسكري الإمام الحادي عشر عند الشيعة له ابن هو (علي التقي) ومنه انحدر المراغنة ، وهذا ما لايقول به الشيعة ، لأنهم يعتقدون ان ابن الحسن العسكري هو (محمد المهدي) الذي اختفي وهو غلام في الخامسة أو الثالثة من عمره فضلاً عن أن بعض المؤرخين ينكرون وجود ابن الحسن العسكري الأمر الذي يقود الي الشك في تسلسل نسب المراغنة بهذه الصورة.

ثالثا : أن هذا النسب لو صح في بدايته فلاشك أنه في وقت متأخر قد اختلط ببعض الدماء الأعجمية ، وما اسم ميرخورد الذي ورد أكثر من مرة وأسم ميرغني الذي يقول المراغنة أنه اسم فارسي إلا اوضح دليل علي ذلك .

(١) راجع سلسلة النسب في :

لؤلؤة الحسن الساطعة في بعض مناقب ذي الأسرار اللامعة والفيوضات الوهية النافعة السيد محمد عثمان الميرغني (متنوعات / ٢٨٣) ص ٤ وترجمة السيد محمد عثمان الميرغني المحبوب المكي رحمة الله تعالى دار الوثائق المركزية قطعه رقم ١١١٩ متنوعات صننوق رقم ١/٦٣ ص ٤ وفي مناقب صاحب الراتب ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية في اداب الطريقة الختمية ص ٩٨ ، ٩٩

-(٢) محمد ابراهيم ابوسليم : مقدمه الابانة النورية ص ٢٦

(٣) أحمد محمد أحمد جلي (دكتور) : طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها ، صفحات ١٤٣ ، ١٤٤

وفي ما يتعلق بنسبة المراغنة الي الجد الحسن العسكري يري السيد أحمد بن السيد محمد عثمان الميرغني (٤) انهم ليست الابرة الوحيدة في العالم الإسلامي أو في السودان التي تنسب نفسها إلي الحسن العسكري علي سبيل المثال في صر توجد أسرة السيد أحمد البدوي والتي تمت بصلة قربي لبيت السادة الخفاف في بربر في شمال السودان مما يجعل هذه الأسرة ايضاً تنسب إلي السيد الحسن العسكري ، ويعتقد السيد أحمد أن البواعث السياسية وحدها هي التي دفعت بعض الجهات إلي انكار شريفه البيت الميرغني.

ولقد جاء في أكثر من مصدر الإشارة إلي انتساب الميراغنة الي البيت النبوي فبالاضافة إلي ما ذكره المرتضي الزبيدي والجبرتي ويبدو أن أحدهما قد نقل عن الآخر ، هناك الشيخ عبدالله مرداد أبو الخير من علماء مكة توفي عام ١٣٣٥هـ أكد هذا الأمر في كتابه (نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر الي القرن الرابع عشر - وقد ألمع الي هذا السفر ونبه عليه السيد محمد الخليفة طه الريفى (٥).

يعتبر عبدالله الميرغني (المحجوب) وهو الجد المباشر لمحمد عثمان الميرغني معلماً بارزاً في تاريخ هذه الأسرة ، فلقد اجتمعت عنده وجهة الحسب والنسب والثراء الواسع والعلم والطريق (٦). ولد السيد عبدالله في مكة ، ولقب بالمحجوب لاحتجابه عن الخلق زمناً طويلاً ، واتصل بكبار علماء مكة وتلقي عنهم العلم أمثال الشيخ النخلي والشيخ يوسف المهدي ثم انتقل الي الطائف بعد أن أسس طريقته الميرغنية وهي أحدي الطرق التي أستمدها منها حفيده طريقته ، لقد غادر مكة الي الطائف في ١١٦٦هـ / ٥٢ - ٥٣٧م نتيجة للصراع السياسي الذي دار بين بعض الأسر في مكة ولكن صلته لم تنقطع عنها إذ بقي بها ابنه محمد يسر الذي واصل النظر في مصالح أسرته ، ويظن أن عبدالله نفسه كان يتردد علي مكة من حين لآخر ولما توفي نقل الي مكة ودفن بها (٧) لقد كان السيد عبدالله عالماً متمكناً من العلوم الإسلامية ، ولقد نهض بأعباء تدريس هذه العلوم وله مصنفات عديدة في هذا المجال ، من بينها (فرائض الدين وواجبات الإسلام لعامة المؤمنين) و (الفروع الجوهريّة في الأئمة الاثني عشرية) و (المعجم الوجيز في أحاديث النبي العزيز) و (كنوز الحقائق) وغيرها وجمع شعره في ديوانين أحدهما : (العقد المنظم علي حروف المعجم) والثاني (عقد

(٤) مقابلة مع السيد أحمد بن محمد عثمان الميرغني (بشمبات) بمنزله

(٥) محمد الخليفة طه الريفى : السادة المراغنة (هيئة الختمية للدعوة والإرشاد المكتبة الإسلامية ١٩٨٣م)

(٦) محمد ابراهيم ابوسليم : مقدمة الأمانة ص ١١

(٧) محمد ابراهيم ابوسليم : مقدمة الأمانة الصفحة ١١

الجواهر في نظم المفاخر) وقد أشاد الجبرتي بمناقبه وعلمه وزهده ونسب إليه بعض الكرامات (٨). وذكره الشيخ يوسف النبهاني ونقل ترجمته عن الجبرتي ، وكان من ضمن ماقله عنه (وهو أحد مشايخ الإمام العلامة السيد مرتضي الزبيدي شارح الأحيا والقاموس ولكون شهرته في بلادنا أقل من شهرة سيدي عبدالعزيز الدباغ وسيدنا عبدالغني النابلسي وسيدي مصطفى البكري رضي الله عنه وعنهم أردت أن أذكر شيئاً من ترجمته تنويهاً بقدرة ولأجل أن يتلقي بالقبول ما أنقله عنه من الفوائد الجليلة ، فاقول ذكره الجبرتي في تاريخه في وفيات عام ١٢٠٧ هـ فقال في هذه السنة مات السيد الإمام العارف القطب عفيف الدين ابوالسيادة عبدالله ابن ابراهيم بن حسن بن محمد أمين بن علي ميرغني وساق باقي نسبه الشريف الحسيني المتقي المكي الطائفي الحنفي الملقب بالمحجوب ولد بمكة وبها نشأ (٩) إن ما أورده النبهاني من أخبار عن عبدالله المحجوب قريب ومشابه لما ذكره الزبيد في معجمه (١٠).

توفي السيد المحجوب في ١٧٩٢ م وخلف ابنين هما محمد ابوبكر والد محمد عثمان ، ومحمد يسن الذي تكفل به بعد وفاة أبيه وكان عقيماً لا ولد له ، لقد مات محمد ابوبكر في وقت مبكر ، ومن الواضح أنه لم يكن علي قدر كبير من العلم والتصوف ، ويبدو أنه قد صحب والده الي الطائف بينما بقي يسن في مكة (١١).

ولمحمد عثمان أخ واحد هو عبدالله وقد تولي منصب المفتي في مكة ولذلك قيل له مفتي الظاهر ولأخيه مفتي الباطن ، ولقد كتب عبدالله عدداً من المؤلفات من بينها كتاب (جواذب القلوب) و (مشكاة الأنوار في سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) و (النفحات القدسية من الحضرة العباسية في شرح الصلاة المشيشة) و (تحريض الأغبياء علي الاستغاثة بالأنبياء والأولياء) وغيرها من المصنفات (١٢).

إن السيد محمد عثمان " الختم " هو أوضح شخصية في تاريخ الأسرة الميرغنية لقد أكسب هذا الرجل أسرته مجداً عظيماً ، وأوجد لها احتراماً ونفوذاً مقدرين في معظم أراضي السودان وارتريا

(٨) أحمد محمد أحمد جلي (دكتور) طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها ط أولي (بيروت : دار خضر للطباعة والنشر ١٩٩٢م) ص ١٣ ، ١٤

(٩) النبهاني ، يوسف بن اسماعيل : جواهر البحار في فضائل النبي المختار (ص) الجزء الثاني (مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٠) صفحات ٤٤ ، ٤٥

(١٠) أنظر : الملتقطة المنقولة عن معجم السيد المرتضي في رسالة تحريض الأغبياء علي الاستغاثة بالأنبياء والأولياء لمصنفها عبدالله المحجوب الميرغني ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية ط ثانية (مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٧٩) ص ٤

(١١) محمد ابراهيم ابوسليم (أ . د .) : مقدمة الأمانة ص ١٢

(١٢) نفسه

ويمكن بفضل ما حباه الله من قدرات ومواهب أن يؤسس قوة ضخمة وأن يحدث تياراً عاتياً من تيارات الإصلاح والتغيير التي بدلت خارطة الولاء والنفوذ في السودان ، ويشبه الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم نشاط محمد عثمان في السودان بموجات التغيير التي اجتاحت المجتمع السوداني في وقت من الأوقات مثل موجة تاج الدين البهاري الذي عدل مسار الطريقة القادرية وحولها الي طريقة واسعة الانتشار بعد أن كانت طريقة العلماء ومحدودة النفوذ ، وموجة أحمد الطيب البشير مؤسس الطريقة السمانية وموجة محمد أحمد المهدي التي حولت مجري التاريخ في السودان(١٣).

ولد السيد محمد عثمان الميرغني بالطائف في قرية السلامة في ربيع ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م ، ماتت أمه وهو في حوالي السابعة من عمره (١٤) والنسبة في الاسم ترجع إلي جد يعرف بعلي الميرغني ، مع اختلاف بين جدين كل واحد منهما يحمل اسم علي ، ولقب ميرغني يكتب باختلاف ايضاً في طريقة رسم حروفه فتارة يكتب (ميرغني) واخري يكتب (مرغني) وأحياناً نجده وقد اضيفت إليه همزة في أوله فيصبح (أميرغني) ويجمعه الناس علي ميرغنية ومراغنة اشارة الي هذه الأسرة اما معني هذا اللقب فهو وكما اوضح السيد جعفر قائل (فمنه لقبهم بالإمارة والغني والمعبر عنهما باميرغني ومعني أمير بلسان الفارسية الشريف وغني بما وهبه الله من سره الظريف) وقد ألع السيد محمد عثمان إلي ذات المعني فقال (ولقبه الميرغني ، لقب به جده السادس او السابع وأصله كلمتان (أميرغني) يتكلم عن نفسه وعن أصل اللقب الموجود في أسرته ، ويجيء في أكثر من مصدر أن لقب (ميرغني) لفظ مركب من كلمتين معناهما الشريف أو الولي الغني ويعتقد الدكتور ابوسليم أنه من المحتمل أن يكون هذا اللقب نسبة الي مدينة بفرغانة في آسيا اسمها (مرغينان) (١٥).

توفي والد السيد محمد عثمان وعمره نحو عشر سنين فكفله عمه السيد يسن فتلقى علي يديه علوم الفقه والحديث والتفسير وعلوم اللغة (١٦) وجلس للافتاء بالحرم المكي وعمره بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة (١٧).

(١٣) محمد ابراهيم ابوسليم (أ . د) : مقدمة الابانة ص ١٤

(١٤) الميرغني محمد عثمان : (مناقب صاحب الراتب) الموجود ضمن الرسائل الميرغنية المشتملة علي

اثنتي عشرة رسالة في اداب الطريقة الختمية ، ط ثانية (مصر مصطفى البابي الحلبي ١٩٧٩) ص ٩٩

(١٥) ابوسليم : مقدمة الابانة الثورية ص ٢٨ ، ٢٩

(١٦) الميرغني ، محمد عثمان : المصدر السابق ص ٤

(١٧) الختم ، محمد عثمان : مقدمة منظومة منحية العبيد في علم التوحيد بسلسلة الميرغني الإسلامية ط

ثانية (لندن : المكتبة الإسلامية ١٩٩٠) ص ج ، د

لقد ترجم له كثيرون منهم الشيخ عبدالله مرداد ابو الخير في كتابه (نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر) الجزء الثاني ، ومنهم أيضا يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه (جامع كرامات الأولياء) وأورد ترجمته أيضا محمد بن عبدالمجيد السراج في كتابه (المناهج العلية في تراجم السادة الميرغنية) ومنهم أيضا أحمد بن إدريس ابن محمد النصيح صاحب الإبانة (١٨) وتلقي العلوم علي العديد من علماء عصره منهم الشيخ سعيد العامودي ، والشيخ أحمد عبدالكريم الهندي ، والشيخ الأزبكي وغير هؤلاء من المشايخ والعلماء (١٩) وقد أخذ من شيوخه المتعديدين خمسة طرق هي النقشبندية والقادرية والشاذلية والجنيديّة والميرغنية وهي طريقة جده عبدالله المحجوب ، وقد بني - في وقت لاحق - طريقته علي أساس هذه الطرق الخمسة ، فكان يرمز لها بنقش جم (٢٠) بعد أن تنقل بين المشايخ انتهى به المطاف إلي السيد أحمد بن إدريس ، لقد جاء السيد أحمد الي مكة في أواخر عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٩م ، حيث مكث بها مدة أربعة عشر عاما ، عقد خلالها حلقات العلم والدرس واضحي قبلة لطلاب العلم من مختلف أرجاء العالم الإسلامي (٢١).

لقد أرسى ابن إدريس عددا من التعاليم ، كانت دعاءات لمدرسته الإصلاحية الصوفية ، حملت هذه المدرسة لواء تجديد الدين بالدعوة إلي إزالة ماعلق به من الشوائب ، وماران عليه من بدع وخرافات (٢٢) لقد اعتمد السيد أحمد منهجا يقوم علي عدة أسس يمكننا أن نلخصها في النقاط التالية :-

- ١/ إتباع الكتاب والسنة مع رفض الإفتاء بغير هذين المصدرين.
- ٢/ العناية بتفسير القرآن والحديث والفقه ، والاهتمام بالتربية كوسيلة ناجعة لايجاد الجماعة المسلمة
- ٣/ التركيز علي ترسيخ المبادئ الفاضلة ، ومحاسبة النفس وايجاد المسلم الذاكر لله.
- ٤/ الدعوة بوسائل سلمية ومترفة والاهتمام بنشر الدعوة بين غير المسلمين ، والسعي أولا إلي إلى بناء النخبة .

(١٨) الميرغني : محمد عثمان : المصدر نفسه ص د

(١٩) النصيح ، أحمد بن إدريس : الأبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية ص ٤ ، هـ

(٢٠) علي صالح كزار (دكتور) : الطريقة الإدريسية في السودان الطبعة الأولى (بيروت : دار الجيل ١٩٩١) ص ٥٠

(٢١) نفسه : ص ١٧

(٢٢) محمد ابراهيم ابوسليم : مقدمة الابانة ص ١٦

هـ / رفض الرسوم والشكليات ، واليعد عن العصبية المذهبية ، واشكال العبادة التقليدية (٢٣) .
لقد كان أحمد سلفي في توجهاته ورائه ، لذا أنكر المذاهب الفلسفية مثل الحلول ووحدانية الوجود ،
وكان يستند علي كتاب الله والحديث الصحيح من كلام الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعلي اجماع
الصحابة نون اجماع جميع المسلمين وقد اسقط القياس ، ورد كل اجتهد بعد الصحابة ورفض
العمل به (٢٤) .

لقد كان محمد عثمان تلميذا مقربا من نفس السيد أحمد بن إدريس ، ومحمد عثمان كان يبشر
ويدعو بصفته تلميذا للسيد أحمد ولم يتنكر محمد عثمان لاهتدائه حتي بعد وفاته وانشائه طريقة
خاصة به ، فلقد ظل يردد في أدبياته استاذية أحمد له ، وسلك مسلكه هذا ابناؤه من بعده واتباعه ،
جاء في مصنفه (الأسرار الربانية في مولد خير البرية) والمشهور بالمولد أنه (تلميذ ابن إدريس
أحمد ذي الأفعال الحميدة) (٢٥)

ويقول في الزهور الفائقة : (تلميذ العارف بالله ذي التقديس القدوة الي الحضرتين مولانا البركة
ولي نعمتنا الشريف أحمد بن إدريس (٢٦) .

لم يحاول تلاميذ أحمد بن إدريس العمل علي إنشاء طرق خاصة بهم في فترة حياته ، بل كانوا
يدعون لأفكار استاذهم ويبشرون بتعاليمه حتي تاريخ وفاته ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م لكن خلافا نشب
عقب وفاته في أمر خلافته لقد مات ابن إدريس نون أن يشير الي مسألة زعامة المدرسة الإدريسية
من بعده ، وقد أدي ذلك الي الخلاف بين كبار تلاميذ السيد أحمد وهم محمد عثمان الميرغني
ومحمد بن علي السنوسي وابراهيم الرشيد بالإضافة إلي أبناء السيد أحمد بن إدريس أنفسهم (٢٧)
وقاد الخلاف حول زعامة المدرسة الإدريسية الي قيام هؤلاء التلاميذ بتأسيس طرق خاصة بهم .

(٢٣) حسن مكي محمد أحمد (دكتور) الثقافة السنارية في السودان المغزي والمضمون (بمناسبة مرور ٥٠٠
عام هجري علي قيام سلطنة سنار السلامية) جامعة إفريقيا : مركز البحوث والترجمة () اغفلت تاريخ الطبع
(ص ٧٢)

(٢٤) محمد ابراهيم ابوسليم : مقدمة الابانة ص ١٥

(٢٥) الميرغني ، محمد عثمان : الأسرار الربانية في مولد خير البرية ط أولي (الخرطوم : المكتبة الإسلامية
١٩٧٦) ص ٥

(٢٦) الميرغني ، محمد عثمان : الزهور الفائقة في حقوق الطريقة الصادقة ضمن الرسائل الميرغنية في اداب
الطريقة الختمية ط ثانية (مصطفى البابي الحلبي مصر ١٩٧٩) ص ٤٨

(٢٧) علي صالح كرار (دكتور) مصدر سابق ص ٤٥

رحلات الميرغني في إطار نشره لدعوته :

اسهمت تحركات الميرغني النشطة إلى إزدياد رصيده البشري من الاحباب والاتباع والتفافهم حول أفكاره ، وكان لها أعظم الأثر علي تطور دعوته ونجاحها ، كانت أولي رحلات الميرغني بتوجيهات من استاذة أحمد بن إدريس فلقد أمره بالتوجه إلى الحبشة ، فسافر إلى هناك حيث وصل إلى منطقة (بلغا) بأرض الحبش ، واتصل بالناس فتبعه عدد كبير من الخلق وأخذوا عليه الطريق ، ولكن الملك القائم علي أمر هذه المنطقة توجس منه خيفة ، فعمل علي إيدائه ، بعد ذلك رجع السيد محمد عثمان ومكث مع السيد أحمد مدة من الزمن (٢٨) وأقاما بقرية الزينية لفترة زمنية يسيرة حيث عملا علي نشر تعاليم المدرسة الإدريسية هناك (٢٩) ، وأمره أستاذه أن يسافر إلى السودان فتوجه عبر وادي حلفا ماراً بمناطق السكوت والمحس والكنوز (٣٠) واصل محمد عثمان رحلته جنوباً حتي منطقة دنقلا حيث التف حوله الناس وكون عدداً من الأتباع في هذه المنطقة من أشهرهم صالح سوار الذهب ، من أسرة سوار الذهب ، وهي أسرة دينية معروفة (٣١) وتحرك بعد ذلك متجها الي الدبة ، ولقد وجد قبولا طيبا هناك خاصة من الأهالي في منطقة الشايقية ، وكان من بين الذين اتبعوه صالح بن عبدالرحمن بن محمد بن حاج الدويحي ، كون عثمان اتباعه في منطقة الشايقية نون أن يزورها وبون أن يلتقي بجزء منهم بصفة شخصية ، بل كان يكتفي بإرسال الأجازات لهم في مناطقهم وكان يجيز اتباعه وفقا لما يسمعه عنهم وعن سيرتهم ، فلقد أجاز عددا من معلمي القرآن وفضلاء الناس ممن اشتهروا بالصلاح وسعة العلم (٣٢).

يقسم الدكتور علي صالح كرار ممثلي الميرغني في جهات الشايقية إلى اربع طبقات : -
الطبقة الأولى : هي المجموعة التي جاءت من مناطقها في بلاد الشايقية الي الدبة للقاء محمد عثمان هناك حيث عينهم خلفاء في مناطقهم مثال علي هذه المجموعة صالح بن عبدالرحمن بن محمد ابن حاج الدويحي.

الطبقة الثانية : هي مجموعة المشائخ والعلماء والصالحين الذين نالوا اجازات الطريقة الختمية من بون أن يلتقوا بالميرغني ولقد اعتمد هو علي اخبارهم وشهرتهم وعلي رغبتهم الخاصة في أخذ الطريق ومن بين هؤلاء محمد خير بن محمد صالح العراقي من منطقة نوري ، ومحمد خير النضيف ،

(٢٨) ابن إدريس ، أحمد بن محمد النصيح : الابانة النورية صفحات ٧ ، ٨ طبعة المكتبة الإسلامية

(٢٩) نفسه : ص ٨

(٣٠) نفسه : صفحات ٧ ، ٩

(٣١) Ali Salih Karrar : The Sufi brother hoods in the Sudan(London Hurst and

C. Company 1992) P. 19

Alih Salih Karrar: Opcit P. 59 (٣٢)

ومحمد حمد الجدي *

الطبقة الثالثة : وهم الرجال الذين قابلهم في كردفان وينتمون إلى مناطق الشايقية ولقد صحبه هؤلاء في رحلاته ومكثوا معه زمنا في قريته السنبة قبل رجوعه إلى مكة ، ومن هؤلاء محمد بن مالك المشهور بود مالك ومحمد بن عبدالحليم المعروف بالنقيب وهو لقب صوفي أعطاه له استاذاه وقد أمرهما الميرغني بالعودة إلى منطقتيهما في كورتي وقتني .

الطبقة الرابعة : وهي تشتمل علي الأفراد الذين سافروا إلي مصوع من ديار الشايقية لملاقاة السيد محمد عثمان الميرغني وأخذ الطريق عليه ومن بين هؤلاء محمد علي الدرويش وهو من منطقة الزومة شمال كريمة ، ولقد جعله الميرغني خليفة له ثم أمره بالرجوع إلي منطقته (٣٣) .

غادر الميرغني الي الدبة في قافلة كبيرة علي رأسها أحد خلفائه هو الخليفة محمد صالح شانول ، ووصلت القافلة إلي كردفان في شوال ١٢٣١هـ/ سبتمبر ١٨١٦م واستقر الميرغني هناك لمدة ثلاث سنين ونيف وخلال فترة استقراره هذه قام بزيارة سنار ، وفي باره تزوج بابنة أحد أتباعه هي رقية بنت جلاب من الهوارة من بيت ديني معروف ، ولقد ولد من رقية هذه ابنه محمد الحسن ، واستطاع أن يجمع حوله مائتين من الرجال (٢٤) ومن ضمن هؤلاء حماد البيتي والقاضي عربي الذي جعله خليفة خلفاء ولقد ذكره الميرغني في عدد من أدبياته ، ومنهم أيضا السيد انسماعيل الولي - الذي أسس الطريقة الإسماعية فيما بعد - وإبراهيم البرقاوي ، ومحمد بادي (٣٥) .

تعرض السيد محمد عثمان وتلاميذه الي مضايقات من جانب المقنوم مسلم حاكم كردفان من قبل سلطان دارفور ، ولقد تنبأ الميرغني وتوعد بزوال حكمه علي يد الغزاه المصريين ، مات لمحمد عثمان أبناء إبراهيم تاج السر وأحمد أثناء هذه الفترة ودفنا في كردفان (٣٦) توجه الميرغني قاصدا سنار ، واتبع تعاليمه عدد من الناس في تلك الأرض أوضحهم الشيخ أحمد بن عيسى . وتعرض محمد عثمان الي ما يشبه الامتحان هناك ، فلقد أراد أحد علماء تلك المنطقة المعروفين أن يناظره ،

(*) ذكر علي صالح كرار الشيخ محمد إبراهيم خضرمتي البديري الدهمشي ضمن هذه الطبقة ، وهذا فيما يبدو غير صحيح فالشيخ محمد إبراهيم لم يأخذ عن السيد محمد عثمان الختم وإنما أخذ عن السيد محمد عثمان الأقرب بين السيد الحسن ، ويبدو أن الفكي إبراهيم والد الشيخ محمد إبراهيم قد أخذ عن الختم ، وكان الفكي إبراهيم أيضا معلما للقرآن وهو مؤسس هذه الأسرة التي جاءت من منطقة (أ بكر) قرب الدبة إلي منطقة الأراك (للتوسع في ذلك أنظر : مقال بعنوان (الشيخ ود إبراهيم تور الأراك) مجلة الفيض العدد الرابع

Ali Salih Karrar : Op cit P. P. 68 (٣٣)

Ibid P. 60 (٢٤)

(٣٥) الرباطابي ، ابن ادريس : الأمانة صفحات ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦

وهو الفقيه إبراهيم ولد بقادي وقد جاء من قريته الي سنار التي وصلها يوم اربعاء ولكنه لم يتمكن من لقاء الميرغني ، إذ أصابته حمي اشتدت عليه حتي توفي ، ولقد عدت هذه كرامة لمحمد عثمان (٢٧) سافر الميرغني من سنار الي المتمة ، فمكث هناك قرابة السنة وأخذ عدد من الأهالي الطريق عليه ، وبني له مسجداً بتلك المنطقة ومن أشهر الذين أخذوا عنه الشيخ أحمد الطريفي والشيخ الريح والشيخ محمد المجنوب (ت ١٨٣٣) والذب بعثت المجنوبية وجددت علي يديه وقد أتصل في وقت لاحق بالسيد أحمد بن إدريس وصار من أقرب تلاميذه ، انتقل الميرغني من المتمة الي شندي ، وأقام بها فترة حيث أسس مسجد هناك وباعه عدد كبير من أهل المنطقة علي رأسهم الخليفة محمد عثمان المبشر ، ومحمد ساتي ، وعلي الجزولي وأنذر الميرغني ملك شندي الملك نمر بالغزو التركي - المصري علي بلاده (٢٨) واصل محمد عثمان رحلته فوصل الي الدامر وأراد بعدها الذهاب إلي بربر لكنه علم بمجيء الحملة التركية (٢٩) فقرر الذهاب الي التاكة ، وهي كسلا الحالية وفي طريقه كان يدعو الناس ويأخذون عليه ، وبالقرب من كسلا أسس قريته السنية ، ولقد كتب خطاباً إلي خورشيد باشا يوصيه فيه بأخذ أتباعه بالرحمة واللين وقد حفظ اتباعه هذا الخطاب حتي مقدم الباشا والذي استغرب أمر الخطاب هذا لأنه لم تجمع صلة بالميرغني ولكنه عامل اتباعه معاملة حسنة (٤٠) ولقد غدت هذه المنطقة مركز قوياً للطريقة الختمية ، وتوافد اليها اتباع الطريقة من كل أنحاء السودان وعمروها وغدت مقراً لهم .

رجع محمد عثمان إلي مكة حيث اتصل باستاذة أحمد بن إدريس ، لقد زار الميرغني السودان ثلاث مرات ، والقول بأنه زار السودان مرة واحدة قول خطأ ، وفي زيارته الثانية جاء وبرفقته زوجته رقية وابنه محمد الحسن إلي التاكة ، وزار سواكن ايضاً واستطاع أن ينشئ عدداً من الزوايا ويكسب قدراً هائلاً من الأتباع رغمًا من مضايقات أنصار الطريقة المجنوبية وكانت زيارة الميرغني الأخيرة للسودان من مكة الي سواكن وكان برفقته ابنه محمد الحسن وقد اختاره في هذه الرحلة ممثلاً له في السودان (٤١).

اثناء وجود محمد عثمان في السودان كان يتبادل الرسائل مع أستاذة أحمد بن إدريس ، ويبني

(٢٧) جعفر الصادق بن السيد محمد عثمان الختم : لؤلؤة الحسن الساطعة ص ١١ ، ١٢

(٢٨) أحمد بن إدريس محمد النصيح : الإبانة صفحات من ١٣ الي ١٧ طبعة المكتبة الإسلامية

(٢٩) ذكر ابن إدريس الرباطي أن جيش اسماعيل نزل في ابي حمد وهذا علي خلاف رواه نعيم شقير الذي

قال أن جيوش اسماعيل قد سارت عبر الصحراء من كورتني الي أن بلغت النيل عند الباكير وذلك في ٢٨ فبراير

١٨٢١م ووصلت الغبش تجاه بربر في ٥ مارس ١٨٢١م (أنظر نعيم شقير تاريخ السودان الحديث ج ٣ صفحة

٤٩٧) ايضاً : أنظر ابوسليم : تحقيق الأبانة ص ٨٤)

(٤٠) أحمد بن إدريس محمد النصيح : الإبانة الصفحات من ١٧ ، ٢٠ ط المكتبة الإسلامية

(٤١) ALI SALIH KARRAR: Ocit P. P. 63 /64

أن السيد أحمد لم يكن راض عن تأخر الميرغني في السودان وكان يستعجله بالحضور حتي يحظي بالخير والبشريات عند استأذه (٤٢).

لقد كان ابن إدريس دائماً يخاطب تلميذه بخطاب صوفي رقيق فهو يطلق بحقه الألقاب ذات المضامين الصوفية ، فنجده يخاطبه (بخليفة الرحمن) و (مركز دائرة العرفان) و (الي الولد وقرة العين غاية الأولياء المحمديين بلاشك مهين بشهادة رسول رب العالمين محمد عثمان الأخذ بغاية العروة الوثقى في مقام الإيمان والإحسان) و (إلي الأبن وقرة العين وأشم العينين محمد عثمان صفى الرحمن الذي اصطفاه الملك الديان وجعله خلاصة المصطفين من حضرة الحنان المنان) و (الي ولده وقرة عينه) (٤٣).

إن الرسائل المتبادلة بين الميرغني وابن إدريس لاتعطي فكرة عن طبيعة العلاقة بين الختمية والإدريسية وكانت لغتها دائماً مبهمه وغير واضحة ، كان الميرغني يعلل امتداد فترة بقاءه في السودان وتأخره عن استأذه لأسباب اقتصادية وللزيادة المضطردة في حجم أتباعه وافراد أسرته يوماً بعد يوم ، ولقد بدأ ابن إدريس ازاء ذلك يفقد الأمل في امكانيه رجوع محمد عثمان ، في آخر الأمر رجع محمد عثمان إلي مكة ومكث مع استأذه بعد انتقاله الي (صبيا) في ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧ وظل هناك حتي تاريخ وفاة ابن إدريس في ١٨٣٧ (٤٤).

انتقل محمد عثمان بعد وفاة استأذه الي مكة ، وكرس جهده هناك لتأسيس طريقتة الختمية ، وأسس عدداً من الزوايا في مكة والمدينة وجدة والطائف ، كما أرسل ابناؤه للدعوة في عدد من المناطق فارسل ولده الأكبر محمد سر الختم (١٢٢٠ / ١٢٨٠) إلي اليمن وحضرموت ، وعين ابنه محمد الحسن ممثلاً له في السودان وقد أثار نجاح محمد عثمان في مكة حسد العلماء عليه مما أضطره الي الانتقال الي منطقته الطائف حيث مكث هناك إلي أن توفي في ٢٢ شوال ١٢٦٨هـ الموافق ٢ مايو ١٨٥٢م (٤٥).

(٤٢) الرباطابي ، ابن ادريس : الابانة طبعة دار الجيل ص ٢٣١

(٤٣) الرباطابي : ابن ادريس : الابانة طبعة دار الجيل صفحات ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢

(٤٤) Ali Salih Karrar : Frat Opcit P. 66

(٤٥) علي صالح كرار (دكتور) : الطريقة الإدرسية في السودان صفحات ٥٠ ، ٥١

أسباب نجاح الميرغني في السودان :

إن محاولات الميرغني في سواحل البحر الأحمر قد كتب لها الفشل نتيجة لمعارضة إمبراطور الحبشة للتبشير الإسلامي وكذلك نجاح الميرغني في مصر لم يكن كبيراً وذلك لرسوخ الطرق هناك ولكن جولاته في السودان وجدت رواجاً وقبولاً منقطع النظير خاصة في شمال وشرق السودان ، وسنحاول أن نتلمس أهم الأسباب التي قادت الي هذا النجاح الكبير ، وأن نبين كذلك لماذا ضعف انتشار الطريقة في بعض أجزاء السودان والتي قام الميرغني فعلاً بزيارتها .

يعزي الدكتور أبوسليم نجاح الميرغني الي ضعف الطرق الصوفية في السودان وتفككها في تلك الآونة ، فالقادرية وهي أكبر الطرق في السودان كانت تعاني من التفكك لانعدام القيادة المركزية (٤٦) ، والسمانية كانت قد اوهنتها الانقسامات (٤٧) والخلافات الداخلية (٤٨) ، لم تكن الطرق وحدها هي التي تعاني من الفوضى والانقسامات ، بل كان الحكم أيضاً تسوده تلك الروح فلقد كانت دولة الفونج في آخر أيامها والنزاعات هي السمة الغالبة علي طبيعة الحكم فيها ولقد أورثت هذه الصراعات ضعفا في الدولة جعلها تنهار في وقت لاحق أمام حملة الفاتحين من الاتراك والمصريين .

(٤٦) لم تكن للطريقة القادرية رئاسة موحدة داخل السودان ، بل ظل نفوذها يتوزع بين عدد من المشايخ - وبقي هذا الحال الي وقتنا هذا - ومن أبرز مشيخات الطريقة في السودان ، مشيخة الكباشية مؤسسها الشيخ إبراهيم الكباشي (ت ١٨٦٧ م) وسجادة الشيخ حسونه أتباعها هم احباب حسن ود حسونة ، وسجادة المكاشفي أتباعها في مدني والمناقل والجزيرة ، وسجادة العركيين في الجزيرة وسجادة المكاشفي أتباعها في مدني والمناقل والجزيرة ، وسجادة الشيخ الجعلي في شمال السودان (أنظر : Sudan Pamphlets ٦٩ : جامعة الخرطوم : مكتبة السودان مطبوع بالآلة الكاتبة صفحات ٢ ، ٣)

(٤٧) محمد إبراهيم أبوسليم : مخطوط في تاريخ مؤسس الختمية في مجلة الدراسات السودانية العدد الأول السنة الأولى (يوليو ١٩٦٨) ص ٤١

(٤٨) لقد تفرعت القيادة داخل الطريقة السمانية ، وظهرت فيها أكثر من مشيخة فكان هناك فرع الشيخ محمد الطيب البصير ووالد محمد الطيب هذا وهو الشيخ البصير كان قد أخذ الطريقة عن الشيخ الطيب رجل أمرحي فأصبح شيخاً مرموقاً من مشايخها ومن الذين أخذوا البيعة السمانية عن البصير الشيخ القرشي ود الزين نفسه ، ثم هناك فرع الشيخ القرشي وفرع الشيخ محمد شريف نورالدائم حفيد الشيخ أحمد الطيب البشير وكان الفرعان الأولان قد أسهما في مجيء المهديّة ومساندتها ودعمها الدعم الأوفر ، أما الفرع الأخير فلقد كانت له مواقفها الواضحة ضد المهديّة (أحمد عثمان محمد إبراهيم : الجزيرة خلال المهديّة ، رسالة ماجستير ، جامعة الخرطوم كلية الآداب - ١٩٧٠ - بالآلة الكاتبة صفحات ٢٠١ الي ١١٢) أنظر أيضاً : محمد إبراهيم أبوسليم : بحوث في تاريخ السودان ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

إن منطقة شمال وشرق السودان كانتا خاضعتين للإدارة الأسمية لحكومة الفونج التي لم تجد أرضاً صلبة لسلطانها في هاتين المنطقتين بحيث لم تمارس سلطات حقيقية وفعلية تجاه هاتين المنطقتين ، لقد كان حكم بولة سنار لشمال وشرق السودان حكماً اسمياً فقط (٤٩) وهذا سهل الطريق أمام السيد محمد عثمان وجعله يسيطر على الأمور في هذه المناطق ويحسم الجولة فيها لصالحه ، ولقد أتضح لنا من قبل وفي أثناء وصفنا لرحلة الميرغني داخل السودان ، إن الجهات الوحيدة التي لم يحرز بها الميرغني وجوداً كبيراً لدعوته ، هي تلك التي تعرض فيها لمضايقات السلطات الحاكمة في تلك المناطق ، لقد حدث ذلك في كردفان في غرب ، السودان حيث تعرض هو وتلاميذه للأذى من قبل المقنوم مسلم ، وواجه في سنار نفس المشكلة حيث تعرض له الوزير ود الأرباب وعمل علي فض الناس من حوله.

إن من أهم الأسباب التي أدت إلي نجاح الميرغني هو نجاحه الكبير في كسب دعم وتأييد الطبقة الاقتصادية ، فلقد أنضمت شخصيات تجارية عرفت بغناها وسعة أموالها ، من بين هذه الشخصيات الخليفة محمد صالح شادول من منطقة الخندق وعدد من البديرية وبعض الأشخاص من الطريقة الجلابة .

إضافة لتأييد هؤلاء ، لقد تمتع الميرغني بدعم كبير من الأسر ذات النفوذ الديني في مناطقها ، لقد عمل الميرغني علي كسب البيوت الدينية الكبيرة وقد نجح في مسعاه إذ وقف إلي جانبه رموز لأسر دينية عريقة ومحترمة ولقد أكسبته هذه الشخصيات دعماً شخصياً وجماعياً منقطع النظير ، إن من أوضح الأسر التي اتبعت الميرغني وبايعته أسرة سوار الذهب والتي تحولت من الطريقة القادرية الي الختمية (٥٠) من الأسباب الهامة أيضا التي أدت إلي نجاح الميرغني العريض في السودان هو شخصية الميرغني نفسها ، لقد عرف عن محمد عثمان أنه عالم متمكن من علمه ، وصوفي عارف بأحوال التصوف وغاياته ، إن المواهب الربانية التي اجتمعت عند محمد عثمان مكنته من كسب ثقة الناس وحبهم له وسعيهم الي كسب رضاه والانضمام الي طريقته ، كذلك إن التاريخ العريض لأسرة محمد عثمان يوحى بأنه يشبه السابقين من أفراد هذه الأسرة ، وأهل السودان كانوا علي علم بمكانة ومنزلة عائلة الميرغني فنحن نجد أن الشيخ أحمد الطيب البشير مثلاً كان قد اتصل بالسيد

Ali Salih Karrar: Frat Opcit P. 68 (٤٩)

Ali Salih Karrar: Frat Opcit P. 68 (٥٠)

المحجوب ودرس علي يديه (٥١)
 إن من أقوى العوامل التي قادت الناس الي الالتفاف حول الميرغني وأتباعه هو اعتقادهم الجازم
 أنه من آل البيت وأنه بضعه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (٥٢) .
 لقد أدت كل هذه العوامل مجتمعة إلي نجاح كبير حققه الميرغني علي أرض السودان ، وإلي
 انخراط غالبية السودانيين في سلك الطريقة الختمية الجديدة والوافدة .
 بعد وفاة محمد عثمان في ٢ مايو ١٨٥٢م ألت رئاسة الطريقة الي ابنه الأكبر محمد سرالختم ،
 وتفرعت الطريقة إلي أربعة فروع إقليمية ولقد كان إقليم السودان من نصيب السيد محمد الحسن
 ابن السيد محمد عثمان الميرغني ، والمعروف في السودان بالسيد الحسن (أب جلاية) (٥٣) لقد
 ولد السيد الحسن في باره من أعمال كردفان في ١٢ جمادي الثاني ١٢٣٥هـ الموافق ٢٨ مارس
 ١٨١٩م (٥٤) والدته هي رقية بنت جلاب (٥٥) في عام ١٨٢٢م سافر الحاج إدريس ود جلاب وبرفقته
 اخته رقية وابن أخته محمد الحسن إلي الحجاز ثم التقوا بالسيد أحمد بن إدريس الذي دعا الله أن
 يبارك الحسن وتم ذلك بناء علي رغبة السيدة رقية والددة محمد الحسن ، وبعد فترة عانوا الي باره
 (٥٦) في ١٨٢٣م سافر الحسن الي مكة للإلتقاء بوالده في مكة وهناك بدأ في دراسة القرآن علي يد
 أحد الشيوخ القادمين من المدينة وأخذ عن أبيه العلوم الإسلامية وتعلم أيضا بواسطة امرأة كانت قد
 أخذت عن جده السيد عبدالله المحجوب .
 مارس السيد الحسن رياضات صوفية متصلة ، وقضى جزءا من وقته في المدينة مجاوراً لقبر
 الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وقد سبب غيابه الطويل في المدينة قلقاً لوالده فدعاه إلي الحضور
 الي مكة ومقابلته ولبي الحسن طلب والده ورجع إلي مكة (٥٧) ، بعد ذلك سافر مع أبيه الي سواكن
 حيث أمره والده بالسفر إلي أجزاء السودان لنشر الطريقة الختمية ممثلاً لوالده (٥٨).
 قام الحسن بطواف علي المناطق التي أسس فيها محمد عثمان الختم تلاميذاً وأتباعاً له ، فقام
 بزيارة لبربر حيث أستقبل استقبالاً ضخماً بواسطة اتباع أبيه ، الشيء الذي أثار قلق ومخاوف حاكم

Ali Salih Karrar : Frat Opcit P. 69 (٥١)

Ibid Idem (٥٢)

Ibid P. 73 (٥٣)

(٥٤) محمد ابراهيم ابوسليم (أ . د) الابانة ص ٢٢٣

(٥٥) محمد أحمد حامد محمد خير : الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج ط ثاني (الخرطوم : دار المامون

١٩٨٧) ص ٤٧

Ali Salih Karrar : Frat Opcit P. 74 (٥٦)

(٥٧) ابن إدريس : أحمد بن إدريس بن محمد النصيح: الابانة ط المكتبة الإسلامية صفحات ٥٣ ، ٥٤

(٥٨) نفسه : ص ٥٤

بربر فكتب في ذلك تقرير وأرسله إلي أبي ودان الحاكم العام ، وهم أبو ودان بالأقدام علي فعل شيء ضد الحسن إلا أن المنية عاجلته في ١٨٤٣م وقد عدت تلك كرامة السيد الحسن (٥٩) علي نفس نمط والده عين السيد الحسن خلفاء له في منطقة بربر من بين هؤلاء أحمد بن محمد النصيح المعروف بإبن إدريس الرباطابي والذي عين خليفة خلفاء وهي نفس رتبة أبيه ، ولقد تزوج الحسن من هذه الأسرة (٦٠).

قام السيد الحسن بزيارة لمناطق الشايقية وهو الشيء الذي لم يفعله والده السيد محمد عثمان علي الرغم من وجود العديد من الاتباع له في تلك المناطق ، أن زيارة السيد الحسن لدير الشايقية عمقت العقيدة الختمية في نفوس أبناء المنطقة ، قام الحسن بزيارة طويلة إلي الزومة حيث أستقبل بواسطة محمد أحمد بن محمد علي الدرويش وأخوه إدريس ، لقد أسهم هذان الأبنان في ترسيخ الطريقة وعملا علي استقرارها في المنطقة وفي أثناء وجود الحسن في الزومة دخلت عدة عائلات تحت عباءة الختمية ، وقدمت للسيد الحسن العديد من الهدايا التي هي عبارة عن قطع أراضي وأشجار نخيل .

و أتصل كذلك الحسن بأسرة النضيفاب في جزيرة ابي رنات ، وهم من أتباع أبيه كما أدخل عدداً من الركاييه في الطريقة من بين هؤلاء الشيخ نافع بن الأمين من سلالة إبراهيم البولاد (٦١). إن منطقة الشايقية ظلت والي وقتنا هذا تدين بولاء عظيم للختمية وللشادة المراغنة ، وتجلي ذلك في أدبهم الشعبي، فاشعارهم القومية تظهر فيها هذا الحب الجارف والعاطفة الدينية المتأنجة نحو البيت المرغني قالت شاعرة شايقية تتغيت بشيخها :

حسن بتصبق الريح

واقفالي المنادي يصيح يا حسن

بي ساداتي عقدي صحيح

أزور القبة فيها ضريح

وستنا بست مريم جات

منجدة عمت السادات (٦٢)

(٥٩) الرباطابي ، ابن إدريس : الإبانة ط دار الجيل مصدر سابق ص ١٢٥ ، ١٢٦

Ali Salih Karrar : Frat Opcit P. 77 (٦٠)

Ali Salih Karrar : Frat Opcit P. 84 (٦١)

(٦٢) أحمد عثمان ابراهيم : من أشعار الشايقية ط ثانية (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩٢) ص

وقالت أخرى تمنى نفسها بالالتحاق في خدمة إحدى سيدات البيت الميرغني :
واقع وراك يابت الشريفة

داير أروح لي بكان بلد الوظيفة (٦٣)

وقد جعل الشايقية يظهرون انتماءهم هذا من حين لآخر حتي أنهم وفي مطلع ومنتصف هذا القرن أصبحوا يغيرون من طريقة رسمهم للشلوخ المألوفة لديهم فأخذوا يوسمون وجوههم بالثلاثة خطوط الرأسية المتوازية علي جانبي الوجه وقد شجعهم علي ذلك ودفعهم اليه هو أن السيد علي الميرغني كان تزين خده ثلاثة شلوخ عمودية فاقتبس الشايقية هذه الشلوخ تبركاً بزعيمهم الروحي (٦٤).
لقد كان الحسن ذا شعبية واسعة ولقد أسهم إسهامات واضحة في التقارب بين الطرق ، وكان سهلاً متبسّطاً في تعامله مع أهل الطرق الأخرى ، ولقد حبه ذلك لدي السودانيين ودفع الزعماء الدينيين ومشائخ الصوفية الي إجلاله وتوقيره (٦٥) لم يكن السيد الحسن يتحرج من أن يعطي راجباً طريقة غير الطريقة الختمية الذي هو شيخها وزعيمها ، وفي ظني أن هذه الأخلاق البسيطة غير المشددة كانت سراً من أسرار نجاح الحسن في ترسيخ الطريقة الختمية في السودان ، عقد السيد الحسن صلات وثيقة مع معاصريه ، من بين هؤلاء المعاصرين أحفاد الشيخ خوجلي الذين غيروا طريقته من الشاذلية الي الختمية (٦٦).

ويري (فول) أن سبب هذا التحول راجع إلي رغبة أحفاد الشيخ خوجلي في أن يستفيدوا من علاقة الحسن الميرغني بالحكم التركي المصري (٦٧) ويبدو لي أن هذا ظن خطأ أولاً لأن علاقة الحسن بالحكام الأتراك - المصريين لم تكن دائماً جيدة علي الرغم من أنه قدم لهم العديد من الخدمات الجليلة في إطار التخفيف من غلواء واحتداد بعض السودانيين تجاه الحكومة في بعض الأوقات - وسيوضح ذلك في معرض كلامنا عن حادثة الجهادية في كسلا ونور السيد الحسن في تهدئة الأمور ، وذلك في الفصل الثاني - وثانياً لأن علاقة الخوجلاب بالسيد الحسن كانت علاقة أصهار وزواج ، فلقد تزوج الحسن من فاطمة بنت محمد الأمين التي أنجبت له فيما بعد السيد أحمد والسيد محمد عثمان (الأقرب) ولقد أهدي الشيخ الأمين بن محمد الأمين أخ فاطمة زوجة الحسن أهدي الحسن أرضاً بني عليها مسيداً وحضرة لعبادته ومن بين الشخصيات الواضحة التي بايعت

(٦٣) نفسه : ص ٥٩

(٦٤) يوسف فضل حسن (دكتور) : الشلوخ أصلها ووظيفتها في السودان وادي النيل الأوسط ط ثانية)

الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٩ صفحا ٥٦ ، ٥٧

(٦٥) محمد أحمد حامد محمد خير : مصدر سابق ص ٤٨ ، ٥٠

(٦٦) Ali Salih Karrar : Frat Opcit P. 79

(٦٧) John Voll : Ahisory of the Khatmiyyaha Tariqa in the Sudan (Harvard 1969) P. 230

الحسن ودخلت في الطريقة الختمية شخصية أبوبكر محمد المتعارض ابن ابوالمعالي بن حمد ود أم مريوم وهو رجل صالح وكان معلماً للقرآن ، ولقد سافر مع الحسن في جولاته في أنحاء السودان واستقر أخيراً في منطقة مساوي في شمال السودان حيث تزوج هناك ، وقد عدت مساوي مركزاً هاماً من مراكز الختمية وبها ولد السيد علي بن السيد محمد عثمان (الأقرب) (٦٨) ومن الشخصيات التي عاصرت الحسن وكانت له أعمق الصلة معها شخصية الشيخ الكباشي ، ولقد زار الحسن قرية الشيخ الكباشي مرات عديدة ولقد كان الشيخ الكباشي يحله ويحترمه غاية الإحترام والصلة بين اتباع الرجلين ظلت باقية ومستمر حتى بعد وفاتهما (٦٩) .

ويقال إن الشيخ الكباشي لما سمع بوفاة السيد الحسن أغلق عليه بابه لمدة سبعة أيام ، وقال لأتباعه (الناس الذين خلق الله من أجـلهم الدنيا فارقوها فماذا بقي لنا نحن) ثم توفي بعده بشهر (٧٠) .

وكانت هناك صلة كبيرة وعظيمة أيضاً بين الحسن والشيخ العبيد و بدر (٧١) وعلاقة الحسن بالسمانية علاقة وثيقة وكان يزور مركز الطريقة السمانية الروحي بأمر مرحي شمال أمدردمان ، بصورة دائمة ومستمرة ويقضي الساعات الطوال في ضريح الشيخ أحمد الطيب (٧٢) ولقد جاء في (أزهير الرياض) أن الحسن كان يعطي الطريقة السمانية ويسلكها كما يعطي الطريقة الختمية (٧٣) .

Ali Salih Karrar Frat OpcitP. 79 (٦٨)

Ibid P. 80 (٦٩)

(٧٠) محمد أحمد حامد محمد خير : مصدر سابق ص ٥٠

(٧١) الشيخ محمد بدر الشهير بالشيخ العبيد ولد سنة ١٨١٠م كان قادرياً وحج البيت نحو سنة ١٨٤٠م ثم جاء وأسس مسجده بأمر ضبان نحو ١٨٤٧م فلقب بشهرة وصيتاً ولقد روي المستر (ريد) الشيخ العبيد التقى بالسيد محمد عثمان الميرغني (الختم) فتنبأ له بأنه سيؤسس مسجداً للقرآن بالسودان وسيكون هذا المسجد في مكان فيه سدرة مليئة بالذباب فتحققت النبوة وسمي المكان بأمر ضبان ولقد أيد المهدي تقياً ولم يكن من المؤمنين بها ولقد استفاد المهدي من تأييده الظاهري هذا الكثير وطلب لقاءه إلا أنه لم يلتق به إذ مات الشيخ وهو في طريقه إلى المهدي في ١٨٨٤م أنظر : أحمد عثمان محمد إبراهيم ، الجزيرة خلال المهدي صفحات ١٢ إلى ٢٢٤

(٧٢) الشيخ أحمد الطيب بن البشير : (١١٥٥هـ / ١٧٠٣م - ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م) مؤسس الطريقة السمانية في السودان المدفون بأمر مرحي علي مسافة ٤٠ كيلومتر شمال أمدردمان وقد أخذ طريقته هذه عن استاذة محمد بن عبد الكريم السمان بالمدينة المنورة (أنظر : عبدالمحمود نورالدائم المناقب الصغري للشيخ أحمد الطيب بن البشير) أيضاً (الطريقة السمانية - مطبق خاص بالطريقة السمانية أمدردمان - جامع الشيخ قريب الله) .

Ali Salih Karrar : Frat Opcit P. 81 (٧٣)

لم يغاد السيد الحسن السودان منذ أن عينه والده ممثل له في السودان وحتى تاريخ وفاته في ١٨ شعبان ٢٨٦ هـ الموافق ٢٣ نوفمبر ١٨٦٩ م (٧٤) .

يظن قول (٧٥) إن بعد وفاة السيد الحسن أسهم عدد من أفراد الأسرة الميرغنية الذين يعيشون خارج السودان في شؤون الختمية في السودان من بين هؤلاء محمد سرالختم (ت ١٩١٧) وابنه محمد سرالختم المعروف بمحمد الميرغني للتفريق بينه وبين أبيه .

لقد تناولنا جزءاً من حياة السيد الحسن وصلته بالحكام الأتراك - المصريين في الفصل الثاني من هذه الدراسة عند كلامنا عن الختمية والمهدية ، ذكرنا أيضاً قيادة محمد عثمان (الأقرب) - ابن السيد الحسن وخليفته علي زعامة الطريقة - وبوره في شرق السودان حتي وفاته بمصر ولقد أعقب السيد محمد عثمان (الأقرب) علي قيادة الختمية السيد علي بن السيد محمد عثمان بن السيد الحسن الميرغني والذي وضحنا ظروف قيادته وأسهاماته وأثره علي الحياة السياسية والإجتماعية في البلاد الي مجيئ الاستقلال وقيام الأحزاب الوطنية ، ولقد ذكرنا ذلك في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

Ali Salih Karrar L Frat Opcit 81

(٧٤)

(٧٥) علي صالح كرار (دكتور) : الطريقة الإدريسية في السودان ص ٩٥

المبحث الثاني

الأصول الفكرية لطائفة الختمية وأمر تعاليمها

الطريقة الختمية ، طريقة صوفية تنهض أصولها وتقوم على أساس صوفي عميق ، وتذخر مؤلفات الختمية ومصنفاتهم بالأفكار والمعتقدات ذات النسب الصوفي ، ولمحمد عثمان الميرغني (الختم) تصانيف كثيرة ذكر أحمد بن إدريس الرباطي صاحب الإبانة جزءا منها ، لقد ألف السيد محمد عثمان كتاباً في التفسير تحت عنوان (تاج التفاسير لكلام الكبير) ، وله كتاب (رحمة الأحد في اقتفاء أثر الرسول الصمد) وكتاب (الوعظ الثمين في تعمير أعصار رمضان الثلاثين) وكتاب (فتح الرسول ومفتاح بابه للدخول لمن أراد إليه الوصول) ، وكتاب (مجموع الأوراد الكبير) و (كتاب (النفحات المدنية في المذائع المصطفوية) وغيرها من المؤلفات (١).

يعتبر تاج التفاسير من أهم مؤلفات السيد محمد عثمان وهو تفسير يقع في جزئين من القطع الكبير ، يبدأ الجزء الأول بسورة الفاتحة وينتهي بسورة الكهف ، والثاني بسورة مريم وينتهي بالناس (٢) ، ولقد سلك الميرغني في تفسيره للآيات القرآنية مسلكاً صوفياً باطنياً فلقد كان يعتمد على الإلقاء الإلهي الذي يرد عليه أكثر من نقله عن كتب المفسرين ، وقد عزي منهجه هذا في التفسير إلى أوامر نبوية ، وكتب مؤلفة (رحمة لأحد في اقتفاء أثر الرسول الصمد) نتيجة لحضرة نبوية (٣).

ومن أهم مؤلفات محمد عثمان الميرغني كتاب النفحات المكية واللمحات الحقة في شرح أساس الطريقة الختمية ، وهو كتاب قيم من الناحية التاريخية يقع في مائتين وثمانية وثلاثين صفحة من القطع المتوسط ، وفيه شرح شامل للتعاليم الأساسية للطريقة الختمية (٤).

ومن مؤلفات السيد محمد عثمان المولد النبوي المسمى بأسرار الربانية وقد اشتهر أيضاً بالمولد العثماني نسبة لمؤلفه السيد محمد عثمان ، ويضم أربعة عشر فضلاً تتضمن عرضاً وافياً لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأوضح محمد عثمان الميرغني أنه ألف هذا المولد استجابة لرؤيا منامية شاد فيها الرسول (ص) يأمره فيها بتأليف مولد أحدي قافيتيه هاء والأخري نون (٥).

(١) محمد عثمان الميرغني (الختم) : مقدمة منظومة منجية العبيد في علم التوحيد ص (ح) ط

(٢) علي صالح كرار (دكتور) : الطريقة الإدريسية في السودان ص ١١٣ ، ١١٤

(٣) الرباطي ، ابن إدريس : الإبانة النورية طبعة دار الجيل ص ١٧٥ ، ١٧٦

(٤) محمد عثمان الميرغني : اللمحات المكية واللمحات الحقة في شرح أساس الطريقة الختمية (ضمن النفحات الربانية)

(٥) الرباطي ، ابن إدريس : الإبانة ط دار الجيل ص ١٨٧ .

إن مؤلفات السيد محمد عثمان الأخرى ورسائله يدور أغلبها حول الطريقة وأدائها ، وعلاقة المريد بشيخه ونظام الطريقة ومبادئها ، وقد جاءت هذه المصنفات في قالب صوفي شأنها شأن أي كتابات صوفية أخرى ، وكما هو معهود في مؤلفات الصوفية ورسائلهم أمتلأت رسائل الميرغني بمصطلحات ورموز وشطحات أهل التصوف ، لقد كانت لهجة هذه الرسائل والطريقة صيغت بها هي الأقرب إلي نفوس الناس في ذلك الوقت ، إن أخبار الصالحين وذكر مآثرهم والكلام عن أحوالهم ومقاماتهم ووصف مواجهتهم ومجاهداتهم هذه الأمور وحدها هي التي كانت تشغل الناس وتؤثر عليهم وتملأ الفراغ الديني الذي أوجدته ظروف ضعف المعرفة الإسلامية لدى المسلمين في تلك الآونة .

إن التصوف معناه العكوف علي العبادة والإنقطاع إلي الله تعالى والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه عامة الناس من لذة ومال وجاه والأنفراد عن الخلق في خلوة للعبادة والتنسك ، ولقد ظهر هذا العلم أول مظهر في القرن الثاني الهجري (٦) ثم شاع أمره وعظم في القرون التالية وظهر في التاريخ الإسلامي رجال من كبار العلماء والفقهاء وأهل الورع والالذين اتخذوا التصوف رائدا لهم في حياتهم العقلية والمادية ، وبرزت مؤلفات عظيمة في هذا المجال ، ولقد تطورت المعارف الصوفية عند المتصوفة إلي مسائل أعمق وأكبر بتقادم الزمن ، وعراقة الفكر فقد أنتقل الصوفية من مرحلة مجافاة الدنيا ومفارقة زخارفها إلي مرحلة أعظم خطراً من هذه المرحلة ، وفيها يقولون أن مجاهدات المؤمن وخلوته وصبره علي الطاعات وذكره الدائم يتبع هذه المسائل غالباً كشف حجاب الحس والإطلاع علي عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس ادراك شيء منها ، وبسبب هذا الكشف أن الروح إذ أبتعدت عن ظاهر الأشياء إلي باطنها ضعفت الأحوال الحسية لدي المؤمن وقويت لديه أموال الروح بسبب انصرافه إلي الذكر وانشغاله بالتبتل ، ويتنامي ها الأمر فيصبح شهودا بعد أن كان علماً فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم الدينية والفتح الإلهي وتقرب ذاته في تحقيق حقيقتها من الأفق الأعلي ، أفق الملائكة وهذه الكشف كثيرا مايعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم (٧).

وهكذا فإن الصوفية يعتمدون علي النوق و علي الكشف والإلهام ولايقولون بالحجة العقلية في كثير من الأحيان بل قد تغمرهم العاطف فيشطحون ويتكلمون بما لايفهم ، لقد زهد كبار الصوفية في

(٦) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون (دار البيان) (بنون تاريخ) ص ٤٦٧

(٧) ابن خلدون : مصدر سابق ص ٤٦٩

بساتر اللذات البدنية ، زهوا في الأكل والنوم والاختلاط بالناس ، وأكثروا من الصبر ولبسوا الخشن القاسي ، ويعلوا عن اللين اليسير (٨) لذا رقت أحوالهم وصفت قلوبهم وتطهرت نفوسهم من رذائل الدنيا وخبائثها ، وأنغمسوا من أجل ذلك في أحوال جديدة وعاشوا حياة ذاهلة عن كل ماحولهم ، ولقد ربط جزء من هؤلاء في وقت لاحق - هذا العيش الصوفي بالفلسفة والتي ظهرت في العالم الإسلامي نتيجة لتوسع الرقعة الإسلامية ودخول أجناس كثيرة من أهل الملل الأخرى في الإسلام الشيء الذي أدى الي تسرب بعض الفلسفات في الفكر الإسلامي بصفة عامة والي التفكير الصوفي بشكل خاص وقد قاد ذلك بعض المتصوفة الي الجهر بآراء تناقض جوهر العقيدة الإسلامية كآري الحلول ووحدة الوجود (٩).

ويعتقد الدكتور أحمد جلي (١٠) أن الختمية تأثروا بفكرة وحدة الوجود التي معناها تجلي الله وظهوره وتوحيده في الكون ، ولقد كان أول من رسخ هذه الفكرة ونادي بها عند الصوفية هو محي الدين بن عربي صاحب (الفتوحات المكية) و(فصوص الحكم) وله أيضاً ديوان شعر تناول فيه العديد من المعاني الصوفية والتي تحمل أبعاداً ومضامين فلسفية.

أورد الدكتور / جلي عدداً من الآراء المنسوبة إلي عبدالله المحجوب (الجد) والتي يذكر فيها جملة من المعاني تصور أن المحجوب يعتقد بمبدأ وحدة الوجود ثم يورد أيضاً جزءاً من أشعار المحجوب ومحمد عثمان الميرغني لدلالة علي مدى تأثر هذين الرجلين بهذه الفكرة.

وينتقل الدكتور/ جلي لمناقشة مسائل أخرى تجيء عند الختمية ويعتقد هو ببطلانها من وجهة النظر الشرعية حيث أنها تخالف وتناقض حقيقة الاعتقاد الإسلامي كما ذكر فيشير الي أن الختمية يؤمنون بنظرية الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي ويعتقون أيضاً بالفناء ، ويستشهد بمقتطفات من كتاباتهم ومن أشعار السيد محمد عثمان الميرغني والسيد هاشم بن محمد عثمان ، والسيد محمد سرالختم (١١)

الواقع ان البيت الميرغني نهل من معين الفكر الإسلامي الصوفي ، وأخذ عن علماء ومشايخ ينتمون إلي التيار الصوفي والصوفية في تلك الآونة كانت هي السائدة والغالبة علي اعتقاد الناس وتفكيرهم ، وكانت الألفاظ والتعبيرات الصوفية المبتوثة في مصنفات أهل التصوف نثراً أو شعراً ،

(٨) أحمد أمين (دكتور) ظهر الإسلام ج الثاني ط الرابعة (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦) ص ٥٩

(٩) أحمد أمين (دكتور) : المصدر السابق ص ٥٨

(١٠) أحمد محمد أحمد جلي (دكتور) : مصدر سابق ص ٤٨

(١١) أحمد جلي (دكتور) : مصدر سابق ص ٩٨ ، ٩٩

لاتلقي استنكاراً أو استهجاناً وكان العلماء يحملون شطحات الصوفية محملاً حسناً ويتولون أقوالهم ويفسرونها علي المعاني الطيبة ويجنون المخرج المناسب لكل مقولة نطق بها صوفي في شطحاته ، إن رسائل الميرغنية وبالذات مؤلفات السيد محمد عثمان (الختم) لا تتناول بصورة واضحة ومباشرة مسألة وحدة الوجود صحيح أن المحجوب حاول أن يقدم تفسيرات موضوعية أو شرعية لوحدة الوجود وأنك تشتم في جزء من قصائده ايمانه بهذه الفكر ، إلا أن الكلام عن هذه المسألة يقتصر علي المحجوب وحده ولا يتعداه ، أما محمد عثمان الميرغني فنحن لانجد أن هذه القضية تشغل حيزاً عنده أو مكاناً بالقدر الذي يجعل منها فكرة أساسية عند الختمية .

وفي الفناء في ذات الله وفي حب رسول الله (ص) فقد صرحت به مؤلفات محمد عثمان الميرغني قال في إحدي مؤلفاته : (اعلم أن الفناءات ثلاثة والبقاءات ثلاثة فالأول الفناء بالشيخ وذلك أن تخلص حتي يكون مرادك مراده فهذا اذهاب التوسيع ثم البقاء به وبذلك ترقى الي الفناء في الرسول وهو الفناء الثاني ومن ثم شطح بعض أهل الوصول ثم البقاء بالنبي العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبه تقوي لسطوع الأنوار العلية والتجليات الجلالية .. وبهذا المشهد ترقى الي الفناء في الرحمن وتصل إلي الوقوف في حضرة المنان فتارة تكون في شطح وبهت وتارة تكون في سكر ونعت (١٢) يتكرر لفظ الفناء في أكثر من موضوع من مؤلفات السيد محمد عثمان نجده يقول في مكان آخر : (اللهم صلي وسلم وبارك عليه وببركة الصلاة عليه أجعله اللهم لي سمعاً وبصراً لأفني ليه) (١٣) وكذلك تكثر الأقوال التي تصف نور النبي (ص) في كتب الختمية.

فتذكر انه فيض من نور وتستغيث به وتجعله قلة للحيري وملاذاً للمتعبين وجهة يلجأ إليها المسلمون فرارا من ضيق الدنيا وعنتها وتفيض أشعار أهل البيت الميرغني بهذ المعاني فمثلا السيد جعفر الصادق بن السيد محمد عثمان الميرغني له ديوان شعر كامل في مدح النبي صلي الله عليه وسلم (١٤).

والحق أن التفكير الصوفي الصميم في جملته لا يكاد يخرج عن مثل هذه المعاني فالمتصوفة يعلنون من شأن الرسول (ص) وببالغون في مدحه وذكر صفاته والتعلق به لدرجة الفناء فيه بمعنى حبه هو وحده والذهول عن سواه من الخلق هذا أمر عام تشترك فيه كل جماعات الصوفية ، أما فكرة النور

(١٢) الميرغني ، محمد عثمان: الهبات المقتبسة لإظهار المسائل الخمسة والعطايا الدقيق في اسرار

الطريقة (ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية) ص ٢٤ ، ٢٥ .

(١٣) الميرغني ، محمد عثمان : المسبغة الميرغنية المشتملة علي الصلوات الأسبوعية المسماة فتح الرسول

ط ثانية (مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٧) ص ١٩٧

(١٤) جعفر الصادق بن محمد عثمان الميرغني : الديوان الكبير المسمي رياض المديح وجلاء كل ذي ود

صحيح وشفاء كل قلب جريح في مدح النبي (ص) (مصطفى البابي الحلبي بمصر) ١٩٣٣ م

المحمدي التي حاول الدكتور / جلي أن يجعل الختمية من دعائها ومن المعتقدين بها فالواضح أن الختمية ومن خلال رسائلهم لايتعدي أيمانهم بالنور المحمدي بسوي أنه نور معنوي يشمل الخلق بفيضه ويغمر الناس بضيائه ليس غير ذلك ، أن تناول الختمية لمثل هذه المسائل بصورة عامة لم يكن تناولاً فلسفياً متعمقاً فالسيد محمد عثمان (الختم) لم يجنح في أسلوب خطابه مع أصحابه واتباعه الي التعقيد والي إثارة قضايا المتفلسفة إنما هو مربي ومعلم وشيخ أكثر رسائله كانت تتكلم عن الذكر وأدابه والتصوف ومسالكه وطرقه ووصف النبي صلي الله عليه وسلم ومدحه بكامل الصفات والصلاة عليه بأنم وأرفع الصلوات .

الختم أو القطبية :

إنتهى المتصوفة إلى القول بأن لكل زمان قطب أو غوث وهو الذي علي يديه مدار العالم وهو الذي يسمى صاحب الوقت وهو الذي يلي أعلي مقام في الولاية ومن بعده يأتي الأوتاد ثم النجباء ثم الإبدال ولكل من هؤلاء مهمة ومقام ، والختم هو الذي يشغل أعلي مقام في الولاية فالخاتم هو خاتم الأولياء وهذا ماذهب إليه محي الدين بن عربي وعلي بن محمد بن وفا وقد أشار محمد عثمان الميرغني اليهما وأخذ عنهما وتأثر بما كتبا ، إلا أن أراءه عن الختم لم تنح منحاً فلسفياً وإنما أوردتها أقوالاً مجردة كما هي (١٥).

ولقد أشار الميرغني إلى أقوال هذين الرجلين في كتابه النفحات المكية ، ويورد السيد جعفر مايسميه بمبشرات الختم حيث يقول فيه (هذه رسالة في بعض مخاطبات الختم رضي الله عنه وأعني به الختم الذي مقامه نون مقام المهدي الذي ليس فوقه من الأولياء إلا المهدي المنتظر ... فمن مخاطباته التي خوطب بها قال الختم : قيل لي أن من صحبتك يموت علي الولاية قال الختم : قيل لي أن من سلم عليك تحاتت ذنوبه قال الختم : قيل أن مقامك الوسيلة مع النبي وفاطمة والحسن والحسين والمهدي وأنت السادس وليس أحد معكم فيها بالسكنة ومن دخلها غيركم فإنما يدخلها علي سبيل الزيارة .. قال الختم : قيل أن معني الختم علي أربعة أوجه : الأول : الختم النبوي والثاني : الختم المهدي والثالث : ختمي والرابع : الختم الذي لا ولي بعده وهو في آخر الزمان فعلمت من ذلك شأني ، قال الختم : قيل أنه لم يقدر علي معرفة حقيقتك أحد من كبار الأولياء العارفين وكم عالج ذلك كثيرا من الأغواث وكبار الأفراد فلم يعرفوا حقيقة ذلك وأعظمهم معرفة بك محي الدين بن عربي .. قال الختم : قيل لي أن كرسيك لك حول العرش بعد كرسي المهدي وأغلب هذه المبشرات لي وللمهدي .. قال الختم : قيل لي لو كان بعد النبي نبي لم تكن إلا أنت والمهدي قال الختم : قيل لي أن جميع الأولياء يتمنون مقامك . قال الختم : قيل لغوث الأغواث هل تعلم أحدا أكمل منك فأشار الي صورتني وصورة المهدي (١٦).

وهكذا فإن الختم الميرغني يستفيض في شرح مقامه وبيان منزلته من الأولياء والمكان الذي هو

(١٥) محمد إبراهيم أبوسليم : مقدمة الإبانة ص ٣١ ، ٣٢

(١٦) الميرغني ، جعفر محمد عثمان : رسالة الختم في بعض المبشرات ضمن (الرسائل الميرغنية) ص ١١٠

عليه عند أهل الديوان الصوفي وعند أصحاب الحضرات الإلهية.
ويردد هذه المعاني في شعره موضحاً مكانته عند الله ومنزلته من النبي (صلى الله عليه وسلم)
يقول في قصيدة له :

نحن المفاتيح للحضرات أجمعها
ونحن باب الإله الواحد الصمد
ونحن متكئات المصطفى طه
نحن أيضاً فراش الرجل للأبد
إلى قوله :

ونحن برزقه بين النبوة
والولاية العظمى أي وبابه الأحمد (١٧)
ويقول في أبيات أخرى مبيناً منزلته من النبي (صلى الله عليه وسلم) :
ومن يبايعه بآيئني ومن يكن
صافحه صافحني بآيئه عن عجل
يدخله جنة نعيم نعم فرانس
جواره يحتظي من غير ما ملل
بشري لكم يا صاحب الختم قاطبة
من مثلكم في الوري قد نال أو ينل
مانلتموا غيركم يسند لأخيار
وانتم تسنون عن النبي عل (١٨)

(١٧) جعفر بن محمد عثمان الميرغني ، : رسالة الختم في بعض المبشرات ص ١١٥
(١٨) الرباطابي ، ابن الدريس : مصدر سابق ص ٢٠٤

ولاية آل البيت :

إن مبدأ ولاية أهل البيت هو الركن الأول الذي يقوم عليه اعتقاد الختمية (١٩) حيث يظنون أن سلالة بيت النبي (ص) هي صاحبة الحق الأول في القيام بأمر المسلمين وفي انقياد المسلمين واتباعهم لهذا النسل من بيت الرسول (ص) إن الختمية والشيعة يتفقون على هذا المبدأ ويجعلونه الأصل الأول في معتقدتهم .

يرى الختمية أن الأئمة من بيت النبي (ص) لا يضلون إذا ضل الناس وسيبقون على الحق إلى يوم القيامة ، ويذهب بعض أتباع الطريقة التي تأويل الآيات القرآنية تأويلاً يتفق مع هذا المبدأ فتفسر الآية الكريمة (وأعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) أن حبل الله مقصود به آل البيت (٢٠) ويسوق بعضهم الأدلة من الأحاديث النبوية لتعصيد موقفهم وتأييد اعتقادهم ومن أبرز الأحاديث حديث (غدير خم) والذي يعدونه أوضح دليل على أن الولاية أعطيت لعلي بن أبي طالب من عند الرسول (ص) فيكون هو الوصي على المسلمين بعد وفاة النبي (ص) ولقد تعلل الشيعة بنفس هذا الحديث في مسألة الولاية وقواه واعتبروه أصلاً من الأصول الدينية التي يجب العمل بها ولا يتم إيمان المرء إلا على أساسها ، وكذا يرى اتباع الطريقة الختمية يقول أحد كبار علمائهم : (كان لابد من الأخبار بولاية أمير المؤمنين وأهل البيت لأن ذلك من أصول الدين لا من فروعه) (٢١).

ويقول أيضاً (يوم الغدير ، وكانت الفرائض مفروضة والسنن مستتة والحدود قائمة والحلال بين والحرام بين إذا ما الذي كان ينقص الدين حتى نزلت هذه الآية ؟ ما كان ينقص الدين إلا إعلان ولاية أمير المؤمنين وخلافته في ذلك الجمع حتى يتواتر الخبر عنه صلى الله عليه وسلم وحتى لا يطمع نو مطمع في الخلافة عنده بعده (ص) غير الذي أعلن حقه بأمر من الله في ذلك الجمع والعتره من بعده عليهم السلام) (٢٢) .

وترد في كتابات الختمية أيضاً ، مجموعة أحاديث أخرى يتخذونها دليلاً على ما ذهبوا إليه من وجوب طاعة والتزام آل بيت النبي (ص) وعترته من بعده ، من ذلك حديث : (إلا أن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) (٢٣).

(١٩) هذا الاتجاه القائل بنصرة آل البيت والمتسرب من الفكر الشيعي ، اتجه حديث في الطريقة لم يعرفه أهل الطريقة من قبل وماقالوا به ، إلا أنه يظهر بجلاء عند اثنين من اتباعها من أصحاب المؤلفات عن الختمية ، الأول: هو الشيخ علي زين العابدين والثاني : هو الأستاذ محمد أحمد حامد محمد خير ، وقد ذكر لي الدكتور أحمد بن محمد عثمان الميرغني أنهم يرفضون هذا التيار الذي يقارب بين فلك الشيعة والختمية .

(٢٠) محمد أحمد حامد محمد خير : براءة الشيعة من مغتريات الوهابية (بدون تاريخ) ص ٢٥

(٢١) الشيخ علي زين العابدين : (تاج الأوليا والأولياء ط أولي) بيروت دار مكتبة الهلال ١٩٨٤م) ص ١٢٧

(٢٢) نفسه ص ١٢٩

(٢٣) محد أحمد حامد محمد خير : براءة الشيعة ص ١٠

وغير هذا من الأحاديث المؤيدة لمذهبهم ، ويبدو أن جملة هذه الأحاديث لم ترد في كتابي الحديث الأكبر تشدداً ودقة في جمع الأحاديث وهما البخاري ومسلم وحديث (غديرخم) مشكوك في صحته ، أضف إلي ذلك وجود أحاديث صحيحة تشير إلا أن التفاضل بين الناس لا يكون إلا علي أساس التقوي والورع والدين والصلاح ، وقد وصف الرسول (ص) سلمان الفارسي بأنه من آل البيت إشارة إلي أنه لا يغني عن أهل بيته شيئاً والي أن أبنته لو سرقت لأقام عليها الحد ، وغير ذلك من الأقوال والأفعال التي تدل علي النبي (ص) لم يكن يميز أهل بيته بشيء إلا هذه الأشياء التي خصهم الله بها من التطهير وبعض الأحكام الخاصة ، والمسلمون جميعهم يحترمون البيت النبوي وذريته ويجلوونه ، أما مسألة الخلافة والولاية وأمامة المسلمين فلقد مات النبي (ص) دون أن يفتي فيها بقول ، بل تركها بين المسلمين يتشاورون فيها .

الكرامات:

الكرامة أمر خارق للعادة يظهر علي يد ولي وهي تختلف عن المعجزة ، فالمعجزة أمر خارق للعادة يقع علي يد رسول وتختلف عن الاستدراج وهو أمر خارق للعبادة يحدث علي يد الكافر أو الفاسق (٢٤) فالنبي للأنبياء معجزات وللأولياء كرامات وللأعداء مخادعات (٢٥). والكرامة في نظر الدين أمر وارد ومقبول ولقد أجمع المسلمون علي أن حدوث الكرامة جائز وأن بعض الكرامات قد حدثت بالفعل لبعض أولياء الله ، وتمثل الكرامة لدي المتصوفة أثراً فكرياً عظيماً وهم أشهر من تكلم عنها وتفويض كتبهم بذكرها وقد اشتطوا فيها اشتطاطاً كبيراً حتي قالوا إن المشي علي الماء وكلام البهائم وطلي الأرض وما سواه مما يدخل في باب المعجزات هو من الكرامات الجائزة في حق الأولياء.

مما يروي في هذا المجال أن السهل بن عبدالله التستري الصوفي الشهير قال : (وقد علي رجل من الأبدال . وهي مرتبة صوفية - وتكلمت معه وأخذ يسألني في مسائل عن الحقيقة وأجيبه عنها حتي وقت أداء الصلاة فغطس في الماء ولم يزل تحت الماء حتي وقت الزوال وعندما اذن اخي إبراهيم اذان الظهر خرج من تحت الماء من غير أن يبتل من جسمه مقدار شعره وصلي صلاة الظهر وكان يغطس في الماء لا يخرج منه الي وقت الصلاة وبقي معي مدة علي هذه الحال الي أن عاد من حيث أتى (٢٦).

(٢٤) عبدالله حسن زروق (دكتور) قضايا التصوف الإسلامي ط أولي (الخرطوم : دار الفكر ١٩٨٥) ص

٣٣٣

(٢٥) الكلاباذي ، أبوبكر محمد : التعرف لمذهب أهل التصوف حققه عبدالحليم محمود وطه عبدالباقى بسرور

(القاهرة : البابي الحلبي ١٩٦٠) ص ٧٣

(٢٦) النبهاني : جامع كرامات الأولياء صفحات ٤١٢ ، ٤١٣

وقد أطلع الختمية علي كتابات المتصوفة في هذا المجال وهي كثيرة جداً ، وقد مضت الختمية علي ذات الطريقة وعدت الكرامة مصدراً لاستنباط الأحكام ودليل علي فضل مشائخهم وعظيم منزلتهم عند الله فهي تأييد الله لهم في الأرض ونصرته لهم علي أعدائهم .

وكتاب الأبانة يذكر طرفاً من كرامات مشائخ الختمية ومن ذلك كرامة السيد الختم التي تحققت مع خليفته الخليفة محمد بن عبدالحليم الملقب بالنقيب وقد أطلق السيد محمد عثمان الختم هذا اللقب عليه - وهو لقب له مدلوله الصوفي - فقد خالف هذا الخليفة استاذة السيد محمد عثمان (الختم) وسافر بون أن يأخذ منه الأذن بالسفر فتوفي حال وصوله الي مقصده ، وعلق الختم علي ذلك أنه لو أخذ الأذن لما أصابه ضرر (٢٧).

ومن ذلك أيضاً مارواه ابن ادريس الرباطي عن ابن للسيد محمد عثمان الختم ركب مع أمه في (سنبوك) ولم تمض علي ولادته بضع أشهر فهاجت عليهم ريح بوسط البحر وكان معهم عدد من النسوة والمريدين ، فانقلب (السنبوك) بما فيه من الناس فرأي الناس ان الطفل الرضيع أدخل يده تحت السنبوك وأعاده كما كان حتي استوي علي سطح البحر (٢٨)

وهذه الكرامة قريبة من كرامة أخرى تحكي عن أحد خلفاء الختمية هو الشيخ ود إبراهيم وهو ولي مشهور بمنطقة الأراك وقبره يزار بقصد التبرك وقضاء الحوائج ، فلقد روي أن ود شبو (٢٩) وهو شاعر معروف بجهات الشايقية سافر لأداء فريضة الحج وفي أثناء عودته علي ظهر مركب أشرفت علي الغرق وخاف من فيها وأصابهم نعر فاستنجد ود شبو (٣٠) بعدد من الصالحين ومنهم ودإبراهيم فحفظوا السفينة ونجا من فيها ، وقال في ذلك شعرا ما يزال يروي علي الألسنة . وهكذا فإننا نري أن الختمية كغيرهم من الصوفية تعلو عندهم الكرامة وترتفع مكانتها ويرونها مصدر خير ودليل صلاح لمشائخهم ورمزاً لصحة نهجهم.

(٢٧) الرباطي ، أحمد بن إدريس : الأبانة ط دار الجيل ص ١٠٠

(٢٨) نفسه : ص ١٤٨

(٢٩) الشاعر محمد علي شبو : (١٨٨٨ / ١٩٢٧) من منطقة (مقاشي) شمال كريمة كانت له صحبة

ومحبة مع الشيخ ودإبراهيم الولي المشهور في منطقة الأراك شمال كريمة (مقابلة: الخليفة محمد نور)

(٣٠) الخليفة محمد نور البديوي : مقابلة عن (الكرامة عند الختمية) بمنزله بامبدة الحارة (١٢)

١٩٩٦/١٠/٢٧م

الخلفاء :

يذكر الاستاذ محمد أحمد حامد في كتابه عن الختمية أصل مهمة الخليفة وبوره في الطريقة مع إبرز سماته التي يجب أن يتصف بها ، يقول : (الخليفة باختصار يجب أن يعمل ماكان الإمام الختم يعمل لو وجد في تلك المنطقة وهذا ما أشار إليه (الختم) بقوله (خليفتي كذاتي) .. و يجب علي الخليفة أن يكون مواظبا علي الحضرات والجمع والجماعات حاثا لابناء الطريقة علي الإذكار وحضور الاحتفالات الدينية التي هي مؤتمرات الطريقة وعليه أن يكون قنوة مطلعا علي الأمور الدينية والدنيوية (٣١)

فالخليفة هو ممثل الطريقة في منطقته ، وهو الصلة بين الأتباع وزعامة البيت المرغني ، ولقد لعب عدد من الخلفاء أنوارا هامة في مسيرة الطريقة الختمية وقد بلغ الإخلاص والولاء ببعضهم أنه ارتحل من دياره ليكون في صحبة المراغنة حيثما ما حلوا وأينما كان وجودهم فالخلفاء لهم أهميتهم القصوي في الطريقة ولقد تكلم محمد عثمان (الختم) عن عدد من خلفائه في أدبياته مما يدل علي منزلتهم عنده .

(٣١) محمد أحمد حامد محمد : مصدر سابق ص ١٣٨

العبادة والذكر عند الختمية :

تقوم الختمية علي مجموعة أذكار وأوراد واستغفارات ، يلتزم المريدون بأدائها وترد يدها في أوقات معلومة ، ولقد تميزت الطريقة التي كتبت بها هذه الأوراد بالبساطة والسلاسة لتتناسب مع العامة وتجد طريقها الي قلوبهم (٣٢) .
ولقد قسمها صاحب الإبانة الي قسمين: قسم يتلي ويقراه المريد منفرداً ، وجزء يقرأه الاتباع جماعة (٣٣).

وأبرز كتب الذكر عند الختمية راتب الميرغني وسمي الأنوار المتراكمة يقرأ صباح مساء (٣٤)
ويقرأ عقب الأساس ويتلي بصورة جماعية (٣٥) ولقد شرح السيد محمد عثمان راتبه هذا شرحين شرح صغير وشرح كبير (٣٦).
ويقرأ المريد بعد الراتب التوسلين أحدهما هو التوسل المسمي بحبل الوصال بإسماء الله الحسني ، والثاني التوسل بإسماء الرجال للسيد محمد سراج الختم (٣٧) ويقرأ المريد دعوة قبلها ويقرأ يسن ويتبعها بالاخلاص ثلاث مرات ويتلو المبايعه (٣٨).
ولقد سمح الميرغني لاتباعه بتلاوة بعض الاذكار التي لم يقوم هو بوضعها من ذلك أنه أجاز لهم قراءة الصلاة المشيشية ودلائل الخيرات وحزب السيف وأحزاب السيد ابي الحسن الشاذلي وأوراد لمحي الدين بن عربي (٣٩) وألف السيد محمد عثمان لاتباعه أيضا رسالة تتناول بسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذكر صفاته الخلقية ولقد صاغها في نظم شعري وسمها (النور البراق في مدح النبي المصادق (ص)) (٤٠) .
ولقد كان محمد عثمان الميرغني فيما ذكر صاحب الإبانة يحث أتباعه علي الذكر ويذكرهم عن ترك مجالس الذكر ، وكان يأمرهم بالحضور عنده في أول الثلث الأخير من الليل لأداء أذكار السحر بشكل جماعي ، ويعين أفراداً يوكل إليهم أمر تنظيم صفوف الصلاة وإيقاظ الاتباع لها وترتيب حلقات الذكر (٤١).

(٣٢) علي صالح كرار (دكتور) : الطريقة الإدريسية في السودان ص ١١٠

(٣٣) الرباطابي : مصدر سابق ص ١٩١

(٣٤) الميرغني ، محمد عثمان : راتب الميرغني القاهرة: النشر والإعلان والتوزيع (بنون تاريخ)

(٣٥) الرباطابي : مصدر سابق ص ١٩١

(٣٦) نفسه : صفحات ١٩١ ، ١٩٢

(٣٧) الميرغني ، محمد عثمان: راتب الميرغني

(٣٨) الرباطابي : مصدر سابق ص ١٩٢

(٣٩) نفسه : ص ١٩٩

(٤٠) الميرغني ، محمد عثمان : النور البراق في مدح النبي المصادق ط ثانية (الخرطوم : المكتبة الإسلامية ١٩٨١).

(٤١) الرباطابي : مصدر سابق ص ١٥٢ ، ١٥٣

في النصف الأول من هذا القرن أدخل الختمية استخدام الطبول والدفوف في مدائحهم التي تؤدي بصورة جماعية (٤٢) ويرى السيد أحمد بن محمد عثمان الميرغني أن إدخال هذه الطبول كان القصد منه تحقيق أهداف سياسية ، ويقول السيد أحمد إن عمهم السيد محمد الحسن في كسلا (ت ١٩٧٨ م) كان يحظر علي أتباعه استخدام أي آلات مصاحبة للذكر ، مع عدم ترديد المدائح التي تصف مناقب وفضائل السادة المراغنة والإكتفاء بمدح الرسول صلي الله عليه وسلم (٤٣) وهذا يعطي احياء بأن تيار الختمية الموجود في كسلا يختلف نوعاً ما عن فرع المراغنة في الخرطوم بحري ، فالفرع الأول فيه نزوع الي المدرسة السلفية ، أو إلي التيار الصوفي المعتدل الذي يعتمد علي النصوص والأدلة الشرعية.

وقد أنكر الأستاذ أبو الحسن الندوي عند زيارته لدار السيد علي ماكان يردده شباب الختمية في لحن(شيء لله يا حسن .. يا سلطان الزمن) ورأي أنه يعارض التوحيد ففيه استغاثة بشيخ ميت وأعتقاد بأنه سلطان الزمن وتسمال عما إذا كان السيد يعلم هذا فيوافقهم عليه أولا يعلمه(٤٤) والقصيصة هذه منسوبة لود المتعارض وهو أحد تلاميذ السيد الحسن وقد مدحه في قصائد كثيرة (٤٥).

وكان السيد محمد عثمان ينهي المنتمين إليه عن لبس المرقعات ويأمرهم بلبس الثياب الجميلة الحسنة والعمايم الطويلة ويكسي أتباعه أجود الثياب ويدعوهم الي تحسين هيئتهم (٤٦) علي خلاف ما نجد عند أكثر أهل الطرق الأخرى .

وهكذا فإننا نري أن الطريقة الختمية أختصت نفسها بأوراد وأنكار وأستغفارات وأدعية وصلوات يلتزم بها أفراد الطائفة ويتلونونها بشكل معلوم ومرسوم .

يتضح لنا من خلال ما ذكرناه في هذا المبحث سعن أهم عقائد الختمية وأصولهم الفكرية ، إن بعض أهل الطريقة الختمية يجعلون في الأصل الأول في منهجها الفكري ، الإعتقاد بوجوب ولاية أهل البيت وعترتهم وأنهم ثقة عنول وهم علي الحق دائما ، ويظهر لنا أيضا عبر ما ذكرناه أن السيد محمد عثمان الميرغني قد وضع أساسا دقيقا لجماعته ، ونظمها وجمعها علي أوراد الطريقة وأنكارها وكان ذلك علي خلاف منهج أستاذه السيد أحمد بن ادريس الذي لم يهتم بالتكوين وتنظيم الاتباع كما أهتم الميرغني بذلك.

(٤٢) أكد لي أكثر من شخص من الذين أشرتكو فيما عرف بشباب الختمية أنهم كانوا يؤلون المدائح مجردة من مصاحبة الدفوف والطبول إلي أن طلب منهم في وقت متأخر إدخال هذه الآلات .

(٤٣) السيد أحمد بن محمد عثمان الميرغني : (مقابلة)

(٤٤) أبو الحسن علي الحسن الندي: مذكرات سائح في الشرق العربي ط:أولي (مكتبة وهبة ١٩٥٤م) ص ٢٠٣

(٤٥) محمد أحمد محمد خير : مصدر سابق ص ٥٠

(٤٦) الرباطي: الإبانة طبعة دار الجيل ، ص ١٥٤

الفصل الثاني

الختمية والدولة المهدية :

المبحث الأول : المهدية والطرق الصوفية

المبحث الثاني : الختمية والدولة المهدية

المبحث الأول

المهدية والطرق الصوفية

أولاً : نشأة محمد أحمد المهدي وصلته بالسمانية :

تتفق الروايات علي أن محمد أحمد بن عبدالله قائد الدعوة المهدية في السودان ولد في ١٢ أغسطس سنة ١٨٤٤م بجزيرة لبب من أسرة تقول إن نسبها يتصل ببيت الرسول (محمد) عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ومن بين أفراد هذه الأسرة أشتهر جد لمحمد أحمد عرف عنه الصلاح والتقوي (١) كان والد محمد أحمد نجاراً يصنع المراكب النهرية وقد دعت ظروف العمل الي الانتقال بابنائيه الاربعة (ومحمد أحمد أصغرهم وكان إذ ذاك طفلاً) إلي كرري شمال الخرطوم وهناك وفي تلك المنطقة توفي والده ودفن وأتجه أبناؤه من بعده الي الاشتغال بحرفة أبيهم بسوي محمد أحمد الذي كان علي نقيض أخوته فلقد مال الي طلب العلم فاتجه إلي دراسة القرآن فأخذ أولاً علي شيخه الأمين الصويلح في مسجد ودعيسي بالجزيرة علوم الفقه والقرآن ، ثم أنتقل الي الشيخ محمد الخير ودرس عنده ومالت نفسه بعد ذلك الي الانتظام في سلك التصوف ، فرغب في الإنتماء والالتحاق بالطريقة السمانية فكان له ذلك في العام ١٨٦١م علي يد الشيخ محمد شريف حفيد الشيخ أحمد الطيب مؤسس الطريقة في السودان (٢) بدأت علامات النبوغ والتفوق تظهر علي محمد أحمد مع زهد وحرص علي العبادة والإبتعاد عن زخارف الدنيا مما جذب انتباه شيخه محمد شريف له فقربه منه وسمح له لاحقاً بأن ينوب عنه في إعطاء الطريقة (٣)

في العام ١٨٧١م غادر محمد أحمد الي الجزيرة أبا حيث ازداد أمر صلاحه أنتشاراً فالتف حوله عدد من المحبين والاتباع ، وأقترح محمد أحمد علي شيخه الانتقال الي منطقة العرايب فقبل الشيخ كلام تلميذه وعمل به ، ولكن المودة التي قامت بين الأستاذ محمد شريف وبين محمد أحمد لم يتح لها أن تدوم طويلاً فلقد تحولت هذه المودة الي جفاء ثم إلي عدا (٤) ، ويبدو أن سبب ذلك تبعاً لما يروي هي الاعتراضات التي أبداه محمد أحمد تجاه الأفراح التقليدية التي أقامها الأستاذ محمد شريف

(١) مكي شبكية (دكتور) : السودان والثورة المهدية الجزء الأول من موقعة أبا الي حصار الخرطوم ط أولي (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٧٨) ص ٩ طبع بمطابع دار الطباعة - جامعة الخرطوم

(٢) نعوم شقير : تاريخ السودان الحديث الجزء الثالث (بدون تاريخ) ص ٣٨

(٣) مكي شبكية (دكتور) : السودان عبر القرون (بيروت - دار الثقافة ١٩٦٧) ص ٢٥٢ طبع بمطابع غريب

بيروت

(٤) نعوم شقير : مصدر سابق ص ٦٣٩

أبتهاجا بختان أنجاله ، أو ربما تكون هي الغيرة الفطرية من الشيخ علي تلميذه الذي أصبح يحتل مكانة كبرى في قلوب أهل الطريقة السمانية ، وعلي كل فقد أدت تلك الخلافات إلي طرد محمد أحمد من الطريقة السمانية (٥).

ولا يعتقد أحفاد الشيخ محمد شريف نور الدائم أن جدهم قد بدر منه ما يخالف الشريعة أو يناقض السلوك الإسلامي لذلك فهم يرون القصة التي تري أن سبب الخلاف بين محمد أحمد وأستاذه أساسها الاحتفالات التي أقامها محمد شريف ، ويظن الدكتور حسن الفاتح قريب الله أن العقل يرفض مثل هذه الرواية ، فليس من الممكن أن تنتهي العلاقة بين هذين الرجلين بعد أن دامت قرابة العشرين عاما وقد قامت هذه العلاقة علي الاحترام والثقة والمحبة في الله وطيلة هذه السنوات الم يتح لمحمد أحمد أن يعلم من سلوك أستاذه ومن أخلاقه ما أراد أن يعرفه فهذه السنين الطويلة كافية أن تبين أحوال الإنسان وميوله وأن تحدد اتجاهات تفكيره وتديره للأشياء ، فالقصة من هذه الوجهة مرفوضة عند أحفاد الاستاذ محمد شريف (٦).

وينقل نعوم شقير سبب الخلاف عن الشيخ محمد شريف نفسه الذي يقول : (إن محمد أحمد لما كثرت أنصاره ومريديه كبرت نفسه وسول له الشيطان الغرور أنه أعظم من في الأرض وأنه المهدي المنتظر فأفسر إلي بدعواه ورغب أن أكون له وزيراً ومستشاراً فيجعل الأمر كله في يدي وذلك في عام ١٨٧٨م فزجرته ونهبت مراراً ولما لم ينتهي عقدت معه مجلساً في أبا جمعت اليه القضاة والنظار وبعض الأخيار .. أمرته بالرجوع عن ضلالتة وأشهدت الله ورسوله والحاضرين أنني أن رجع شاطرته نصف ما ملكت يدي من مال وعقار فخرج من المجلس لمشاورة من معه من الأصحاب فلم يرجع ومن ذلك الوقت نفيت من الطريقة وقلت لأصحابي أن يغربوه إذا جاءهم ونصحت لقائم مقام (الكوه) بوجوب القبض عليه وزجه في السجن خوفاً من تجسم الأمر فلم يفعل وقال إنه رجل صالح وصاحب الخضر ولايمسه بسوء (٧).

ويظن (هولت) أن رواية شقير مشكوك في أمرها لأسباب عديدة لعل أهمها هو أنها رويت عن الشيخ محمد شريف نفسه ولقد عمل محمد شريف تحت إمرة المهدي ولذلك يمكن أن تكون هذه الرواية مجرد محاولة لتملق الغزاة البريطانيين والمصريين ولتصوير أنه الشخص الأوحد الذي حدس بوادر خطر الثورة المهدية في مهدها ، لذلك يعتقد هولت (أن السبب الرئيسي للنزاع هو الشعبية المتزايدة التي تمتع بها محمد أحمد علي حساب الاستاذ محمد شريف (٨)

(٥) مكي شبكية (دكتور) : مصدر سابق ص ٢٥٣

(٦) حسن الفاتح قريب الله (دكتور) : (مقابلة عن المهدية وصلتها بالسمانية) في منزله بوندويوي حي القلعة أبريل ١٩٩٦

(٧) نعوم شقير : مصدر سابق ص ٦٤٠

(٨) ب. م هولت : دولة المهدية في السودان عهد الخليفة عبدالله ١٨٨٥ - ١٨٩٨ ترجمة هنري رياض وآخرون) بيروت : دار الجيل (اغفلت تاريخ الطبع) ص ٣٠ ، ٣١

ثانياً : الفكرة المهدية والتصوف :

إن فكرة المخلص أو المنقذ الذي سيطهر يوماً ما لينهي العناء والظلم فكرة قديمة مشتركة بين الأديان السماوية الثلاثة علي أختلاف بينهم في المفهوم والرؤية (٩) ، ولقد ظهرت في تاريخ الإسلام منذ وقت مبكر ويعرف الشخص المخلص عند المسلمين (بالمهدي) وكلمة (مهدي) لم ترد في القرآن الكريم ولم ترد في الصحيحين ولكنها وردت في بعض كتب الحديث الأخرى الأقل تشدداً كابن ماجه والترمذي وغيرهما وخلاصة ما جاء في هذه الكتب عن المهدي أنه شخص يظهر في آخر الزمان يجدد الدين ويملا الدنيا عدلاً بعد أن ملئت جوراً ويكون من ذرية فاطمة بنت الرسول صلي الله عليه وسلم (١٠) ولقد شكك ابن خلدون في صحة عدد وافر من هذه الأحاديث (١١) فلقد سعي الشيعة الي أختلاف الأحاديث التي تؤيد منطقهم وتسند آرائهم .

علي أن الأمامة عند أهل السنة لاتعدوا أن تكون رياسة عامة علي أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص لا علاقة لها بالنسب النبوي والأمور الباطنية (١٢) وترجع جنور فكرة المهدية في تاريخ الإسلام في أيام الخلاف الذي أعقب مقتل سيدنا عثمان ودفع المسلمين الي ما عرف فيما بعد (بالفتنة الكبرى) ولقد كان الشيعة أسبق الفرق الي اعتناق هذه العقيدة وأشدهم تعلقاً بها ولقد كان شعورهم الدائم بالظلم وتطلعهم الي وضع جديد عادل يكفل لهم حريتهم يجعلهم باستمرار متمسكين وعلي امتداد العهود الزمنية بفكرة المهدي (١٣)

غير أننا نجد أن فكرة (المجدد) أو (المصلح) تتبوأ مكاناً أهم عند أهل السنة من فكرة المهدي ، وأعتقدهم هذا نابع من حديث عن الرسول صلي الله عليه وسلم في مامعناه ان الله يبعث لهذه الأمة علي رأس كل قرن من يحدد لها أمر دينها فيعيد الإسلام إلي صفائه ويزيل ماعلاه من شوائب (١٤) لذلك فإن اعتقاد عامة أهل السنة يناقض تماماً ماتدين به الشيعة فهم لايؤمنون أن

(٩) تاج السر حران : (فكرة المهدية عند الشيعة الاثنتا عشرية) في دراسات تاريخ المهدية اعده للنشر د. عمر عبدالرازق (الخرطوم قسم التاريخ جامعة الخرطوم) العدد (١) ص ٣٩ الطابعون مطابع وأستديو رأي أصل هذه البحوث قدمت للمؤتمر العالمي لتاريخ المهدية الذي أنعقد في الخرطوم في ٢٩ نوفمبر الي ٢ ديسمبر ١٩٨١م

(١٠) محمد أحمد الحاج (بروفيسور) : المهدية وأثرها الديني في السودان (في الإسلام في السودان الإعداد بروفيسور مدثر عبدالرحيم ود. الطيب زين العابدين الخرطوم دار الأصالة للصحافة والنشر ١٩٨٧ ط أولي ص ٤٣ أصل هذه الأبحاث قدمت في المؤتمر الأول لجامعة الفكر والثقافة الإسلامية قاعة الصداقة - الخرطوم ٢٧ - ٣٠ نوفمبر ١٩٨٢م

(١١) محمد إبراهيم ابوسليم (أ. د.) الحركة الفكرية في المهدية الطبعة الأولى (الخرطوم قسم تاليف والنشر جامعة الخرطوم ١٩٧٠) ص (١) طبع بدار الطباعة جامعة الخرطوم

(١٢) سعد محمد حسن : المهدية في الإسلام منذ أقدم العصور حتي اليوم الطبعة الأولى (١٩٥٣) طبع بمطابع دار الكتاب العربي بمصر ص

(١٣) عبدالوهاب أحمد عبدالحمين (دكتور) توشكي دراسة تاريخية لحملة عبدالرحمن النجومى علي مصر ط أولي (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٧٩) ص ٥ ، ٦ الطابعون دار الطباعة دار جامعة الخرطوم للنشر

(١٤) نفسه ص ١١

المهدي ولد من الف عام وغاب في سرداب أو نحو ذلك ثم يخرج في آخر الزمان كما هو في صلب العقيدة الشيعية (١٥).

ويظن الدكتور /حسن مكي أن التعريفات التي حاول أن يقدمها السيد الصادق المهدي في كتابه (يسألونك عند المهدي) - وهي تعريفات لبيان ماهية النظرية المهدية - ليست تتفق ولا تتطابق مع شخصية المهدي عند أهل السنة ، فلقد ذكر مؤلف كتاب (يسألونك عن المهدي) أن المهدي هي عبارة عن نداء قيادة دينية ملهمة توحد كلمة المسلمين وتجدد الدين وتدعو إلى الالتزام بالكتاب والسنة وتشعر كذلك فراغ الخلافة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهذا لا يتماشى مع حقيقة الفكر المهدية التي تقوم على مبدأ سلطان الكشف والذي يتجاوز ويتخطى سلطان النقل وحدود النص ، ومثل هذه التعريف يصلح للتعبير عن (المجدد) الذي يحيي السنة المندثرة ويبدد الدين المفقود ، ولا ينبغي أن نطلقه على المهدي لأن المهدي نتاج طبيعي لتطور الفكر الباطني وغرس المنهج الشيعي (١٦).

كذلك يظن الدكتور مكي أن تجربة الأمة المسلمة مع الفكرة المهدية كانت غير سعيدة وظاهرة الثورة في إطار المهدي لم تؤد إلى حركة إصلاح أو نهضة حقيقية ، لأن شخصية المهدي قادت جماهير المسلمين إلى تعطيل نور العقل وإعلاء شأن الكشف وهناك السطر حتى يغدو للكشف مرجعاً أساسياً للتشريع وأصدار الأحكام (١٧)

وقد أهتم الصوفية أيضاً بأمور الغيب وعنوا بكشف الحجب واختراقها حتى صاروا يرون أن صاحب الكشف يطلع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس أن يدرك شيئاً منها (١٨) فهم كما يوضح ابن خلدون يذكر من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك يدركون كثيراً من الوقائع قبل حدوثها وينصرفون بهمة وقوة نفوسهم في الموجودات السفلية (١٩) .

وهذا يبين لنا موقف الصوفية أزاء فكرة المهدي فلقد أقام هؤلاء نولة غيبية على رأسها شخصية مهدوية تدبر شؤون الكون وتتصرف فيه هذه الشخصية هي الغوث أو (القطب) وتحته في إدارة شؤون الكون الأوتاد الأربعة بعدد أركان العالم ، ثم البدلاء السبعة والنقباء الثلاثمائة والنجباء الأربعين وخاتم الأقطاب هو النائب الأول للنور المحمدي المهدي المنتظر كما جاء في كتابات محي

(١٥) بسعد محمد حسن : مصدر سابق ص ١٧٥

(١٦) حسن مكي محمد أحمد (دكتور) : الثقافة السنارية المغزي المضمون بمناسبة مرور ٥٠٠ عام هجري علي قيام سلطنة سنار الإسلامية اصدار رقم ١٥ (جامعة إفريقيا العالمية - مركز البحوث والترجمة) ص ٧٦

أنظر أيضاً : الصادق المهدي (يسألونك عن المهدي) (بيروت دار القضايا ١٩٧٥) مطابع الأهرام التجارية ص ١٦٤

(١٧) حسن مكي محمد أحمد (دكتور) نفس المصدر ص ٧٥

(١٨) أحمد عثمان ابراهيم : (الثورة المهدية فكرة ونظرية) مجلة الدراسات السودانية معهد الدراسات الإفريقية والاسيوية جامعة الخرطوم العدد الأول المجلد الخامس اغسطس ١٩٧٥ ، ص ٨

(١٩) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون (بيروت دار البيان) (بدون تاريخ) ص ٤٧٠

الدين ابن عربي (٢٠) وهو أشهر من تكلم عن المهدي المنتظر فلقد ذكره في الفتوحات المكية في مصنفه الخاص عن المهدي المنتظر (عنقاء المغرب) ولقد غدت مؤلفات هذا الرجل حجة فيما بعد عند السودانيين في الدفاع عن مهدي السودان أو في معارضته (٢١) ، ولقد وفدت الأخبار التي تحمل فكرة المهدي وتتحدث عنه من مصدرين كما يعتقد أبو سليمان أُولاهما : مصدر عام وهو قراءة المصادر الإسلامية التي تكلمت عن المهدي وانتشار الطرق الصوفية والاتصال بالمسلمين في البلدان الأخرى عن طريق الحج والتجارة وغيرهما من أمور الحياة التي تدفع الناس إلى الاتصال ببعضها ، أما المصدر الثاني فهو مصدر خاص وهو أثر حركة الجهاد الفلاني التي قام بها الشيخ عثمان دان فوديو ثم واصلها أخوه عبدالله وابنه محمد بيلو (٢٢) ، فلقد بشر الشيخ دان فوديو بظهور المهدي في المناطق الواقعة شرقي بلاده فلقد قال في أحد كتبه يظهر في الشرق أي المهدي وسأتبعه إن كنت حياً وإن لم أكن حياً فعلي المؤمنين تأييده والهجرة إليه وقال في قصيدة موجهة لجماعته تمسكوا ببيعة أمركم إلى أن يظهر المهدي ، وعندما يظهر فأنتم وامرائكم بايعوه ولقد رسم الشيخ عثمان للناس طريق الهجرة شرقاً للمهدي وأوضح منازل الهجرة حتى الوصول إلى بلاد النيل ونتيجة لهذه البشارات كثرت الهجرة شرقاً بحثاً عن المهدي أو مكوثاً في سبيل ظهوره (٢٣).

وهذا يبين لنا مدى انتشار فكرة المهدي ، ورواجها وقبول الناس لها علماء وعامة علي امتداد السودان الكبير ، مما هيا فيما بعد لمحمد أحمد (مهدي السودان) حسن القبول وعظم الترحيب ، ولا غزو إذن أن نجد صوفياً مثل حمد النحلان يسافر من السودان إلى مكة ويدعي المهديّة هناك في العام ١٨٦٠م علي أيام الفونج (٢٤) لقد تأثر المهدي في منهجه النظري بتيارات الفكر الصوفي التي كانت سائدة آنذاك وتجلي ذلك في طريقة عرضه لدعوته وبيان فكرته للناس فهو يستدل ويستشهد بمصادر صوفية لرجال هم من أساطين الفكر الصوفي كإبن عربي وأحمد بن إدريس وعبد الوهاب الشعراني وغير هؤلاء (٢٥) أضف إلى ذلك أن المهدي عاش في أجواء صوفية عميقة ودائماً ما تزحم كتاباته بعدد وافر من الألفاظ والمعاني التي تصور لنا أجواء الصوفية تلك فهو يزعم أن سيد الوجود يخبره في حالة اليقظة الكاملة بأنه المهدي الذي هو مخلوق ليس كسائر الناس وأصله من عنان قلب النبي (صلى الله عليه وسلم) ويذكر في منشور آخر أن الشيخ البصير - أجد

(٢٠) الصانق الصديق المهدي : أيولوجية المهديّة في دراسات في تاريخ المهديّة المجلد الأول اعده للنشر د. عمر عبدالرازق النقر (الخرطوم : قسم التاريخ جامعة الخرطوم) الطابعون مطابع وستديو راي ص ٥٨ أصل هذه البحوث قدمت للمؤتمر العالمي لتاريخ الهدية الخرطوم ٢٩ نوفمبر الي ٢ ديسمبر ١٩٨١م

(٢١) محمد إبراهيم أبوسليم (أ . د) : مصدر سابق ص ٢

(٢٢) محمد إبراهيم أبوسليم (أ . د) : مصدر سابق ص ٤

(٢٣) الصانق المهدي : أيولوجية المهديّة ص ٦٠

(٢٤) وضييف الله ، محمد النور : مصدر سابق ص ١٦٤

(٢٥) محمد إبراهيم أبوسليم : مصدر سابق ص ٨

أقطاب الدعوة السمائية - (جدنا) وهذه الصلة ليست صلة اللحم والدم وإنما هي صلة النسب الصوفي التي تری التسلسل وتثبت الأصل الصوفي والتلميز عند الصوفية كابن الصلب یرث عنه معارفه كما یرث ابن الصلب الممتلكات الدنیویة(٢٦).

ویبدو لنا عبر ما أوردنا مدي الثقافة الصوفية التي عمت الفكرة المهدية وشملتھا ، كذلك وضع لنا التيارات الفكرية التي سادت آنذاك والتي هیأت المجتمع لتقبل المهدية ، ولقد أسهم الفكر الصوفي في أحداث هذه الأجواء وتشبع بها وأفاد منها إفادات كبرى في صناعة نظریاته ، وتكوين أفكاره مما كفل له القبول والرضی بین قطاعات متعددة في المجتمع السوداني .

(٢٦) أحمد عثمان ابراهيم : المهدية فكرة ونظرية صفحات ١٠ ، ١١

ثالثاً : المهديّة والطرق الصوفيّة :

أمر المهدي بإبطال المذاهب والطرق وحض الناس علي مفارقة انتماءاتهم القديمة ، ودفّعهم الي التخلي عن ولاءاتهم السابقة ، وكان يأمر أتباعه بترك الطرق ويدعوهم الي الالتزام بالنهج الذي أخطه لهم دون التعلّق بشيء آخر .

ويظهر لنا هذا التوجّه من خلال منشور بعثه الخليفة عبدالله لبعض أتباع التيجانية يوضح لهم فيه أنّ المهدي قد أبطل الطرق الصوفية ومنع نشاطها فالمهدي كما يقول موعود برفع المذاهب وتطهير الأرض من الخلاف (٢٧) وكان المهدي قد بين لمن حوله بأنّه يتلقّي الإشارة من الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهو ليس في حاجة إلي الاقتداء بأئمة المذاهب ومشايخ الطرق (٢٨) ويظن الدكتور عبدالقادر محمود أنّ المهدي قد وقع نتيجة لإجتهاده الذاتي في أخطاء كثيرة من بينها حكمه بتكفير من يخالفه وغير هذا من الاجتهادات الخاصة به (٢٩) ويبدو لنا أنّ الدوافع التي دعت المهدي إلي الغاء الطرق أمران :

أولاً : صلة المهدي بالطريقة السمانية وخلافه مع شيخها .

ثانياً : إنّ المهدي لم يلق تأييداً من مشايخ الطرق الصوفية أبان دعوته (٣٠) ويتجلى لنا مذهب المهدي في الغاء الطرق من خلال خطابات عديدة بعث بها الي أفراد عديدين من بين هؤلاء الشيخ محمد الأمين الهندي الذي اشتراط المهدي عليه عدم التعلّق بالأئمة والاعتماد علي الكتاب والسنة ، وأيضا الشيخ أحمد حمدان العركي والذي أشار عليه بنفس الأمر (٣١) ، ولقد سعي المهدي علي أبعاد الناس عن كل ما يتصل بالطرق الصوفية وبمشايخ هذه الطرق فنجدّه يأمر في واحد من منشوراته بالتخلي عن استخدام الكلمتين (السيد) و (الشيخ) وهما اللقبان اللذان كان يخاطب بهما المشايخ (٣٢) .

أما رجال الطرق فقد أنقسموا الي طائفتين واحدة أيدت المهديّة تزييدا مطلقاً وأخري نافقت ، فصمّت أو أطرت علي التأييد أطراً (٣٣) أمثال الشيخ محمد الازريق بومدني ، والشيخ العبيد بدر بأّم ضبان (٣٤) ومن المؤيدين المباركين لدعوة المهدي الشيخ محمد الطيب البصير بالجزيرة (٣٥)

(٢٧) المهدي : منشورات المهديّة تحقيق الدكتور محمد إبراهيم ابوسليم ص ٦١ ، ٦٢

(٢٨) المهدي : منشورات المهدي ج . ط ٣ (الخرطوم إدارة المحفوظات المركزيّة ١٩٦٤) ص ٢

(٢٩) عبدالقادر محمود (دكتور) الفكر الصوفي مصادره وتياراته والوانه ط أولي (دار الفكر العربي ١٩٦٩) ص ١٠٢

(٣٠) محمد محجوب مالك (المقاومة الداخليّة لحركة المهديّة ١٨٨١ - ١٨٩٨ ط أولي) بيروت - دار الجيل

(١٩٨٧) ص ١٥٢

(٣١) محمد إبراهيم ابوسليم : الحركة الفكرية في المهديّة ص ٤٢

(٣٢) أحمد عثمان إبراهيم : الجزيرة في خلال المهديّة ١٨٨١ - ١٨٩٨ (جامعة الخرطوم كلية الآداب سبتمبر

١٩٧٠) مطبوعة بالالة الكاتبة ص ١٩٩

(٣٣) أحمد عثمان إبراهيم: نفسه ص ٢٠٠

(٣٤) نفسه : ص ٢٠١

(٣٥) نفسه : نفس الصفحة

والشيخ أحمد المهدي (٣٦) بديار الشايقية (٣٧) ، ولقد كان تأييد محمد الطيب البصير وأخلاصه للمهدية لم يوجد له نظير بين قادة الطرق فلقد كان الشيخ محمد الطيب قوي الصلة بالمهدي ، فلقد جمعته بالمهدي صلات الدم والأصهار والفكر والعمل الجهادي المشترك ، كان المهدي متزوجاً بالسرة بنت الشيخ الطيب ، والشيخ الطيب أيضاً هو حفيد القرشي ود الزين أستاذ المهدي فام محمد الطيب هي السيدة كلثوم بنت الشيخ القرشي (٣٨) ، لذلك كان محمد الطيب البصير من خواص المهدي الذين أفضى لهم المهدي بما ينوي حينما كانت دعوة المهدي في مراحلها الأولى (٣٩) .

أما الشيخ العبيد بدر فيعتبر من أهم أهل الطرق الذين لم يؤمنوا بالمهدية منذ أول عهدها ولم يحملوا لواءها إلا إضطراباً فلقد هدده المهدي حتي أرغمه علي أن يكون بجواره (٤٠) بعد وفاة المهدي زاد شك رجال الطرق في المهدية علي أنهم لم يستطيعوا الخروج علي سلطة الخليفة فظلوا مهووين تقية يمارسون تعاليمهم في ستر ومن خلف حجاب (٤١) ، اضافة الي ماذكرناه ينبغي علينا أن نشير إلي أن المهدي سعي الي كسب ود المشائخ وزعامات الطرق الصوفية لعلهم بمكانة هؤلاء وتأثيرهم علي الناس ومكانتهم في نفوس مريديهم ومن مشايخ الطرق الذين سعي المهدي إليهم وزارهم في مناطقهم السيد / محمد المكي إسماعيل شيخ الطريقة الإسماعيلية ، وأسرة صالح سوار الذهب الذي صحب السيد محمد عثمان إلي اليبض وتوفي بها في عام ١٨٧٥ م (٤٢) .

فالمهدي كان يعلم نفوذ أهل الطرق وتأثيرهم علي اتباعهم لذلك فقد كان زعماء الصوفية هم أول من خاطبهم المهدي وسعي الي خطب ودهم وكسبهم الي صفه واستقطابهم الي جانبه ، فهم دائرة دعوته الأولى التي اراد أن يضمها الي جواره ، ولعله فشل نسبياً في تحقيق غايته تلك فهو لم يحصل علي تأييد مطلق من مشائخ الطرق ، والذين بايعوا المهدية منهم فإهم نفر رافض لها ولم قبلها إلا خوفاً ورهبة فلقد كانت للمهدية لاترحم تجاه معارضيها ، وتعرض قادة عظام في دولة المهدية الي القتل بصورة مذكرة وغير ذلك من ألوان البطش التي عاشتها المعارضة الداخلية لحركة المهدية .

(٣٦) ولد الشيخ أحمد الهدي في منتصف القرن التاسع عشر-في منطقة (أوسلي) غرب جزيرة مساري ، أعنق مباليء الطريقة التجانية ودعا إليها ، وذكر شقير أن المهدي أرسل الي الشيخ الهدي سيفاً والـف ريال وجعله أميراً علي دنقلا فقبل الهدية وبايع محمد الخير (أنظر : نعوم شقير تاريخ السودان ج ٣ ص ٧٨٧) وقد تبعه في جهاده مع المهدية عدد من الهواره و الحسانية قد بهم واقعتين ضد الترك ولكنه خسرهما أجبر الشيخ الهدي جماعة من خلفاء الختمية من منطقة الشايقية في الخروج معه ، ولقد قتل هو وهؤلاء الذين فسرهم علي مرافقته في سبتمبر ١٨٨٤ (أنظر : Ali Salih Karrar : S fi brother hoods in the Sudan P. P. 122, 123 , 124)

(٣٧) محمد محجوب مالك : مصدر سابق ص ١٥٢

(٣٨) أحمد عثمان محمد ابراهيم: الجزيرة خلال المهدية ص ٢٠١ ، ٢٠٢

(٣٩) نفسه : ص ٢٠٢

(٤٠) أحمد عثمان محمد ابراهيم : مصدر سابق ص ٢١٥

(٤١) محمد محجوب مالك : مصدر سابق ص ١٥٣

(٤٢) ب . م هـ : دولة المهدية في السودان في عهد الخليفة عبدالله ص ٣٧

المبحث الثاني الختمية والدولة المهدية

في الواقع وقبل أن نخوض في البحث عن شكل العلاقة التي جمعت بين الطريقة الختمية وبين الحكومة المهدية ، يجب أن نوضح طبيعة الصلات التي نشأت بين قادة الختمية وبين الحكومة التركية قبل المهدية .

في البداية لقد حاول بعض الباحثين أن يعقد صلة بين وفود محمد عثمان (الختم) إلى السودان وبين مجيء الحاكم التركي للتقارب الزمني الحاصل في هاتين الحادتين ، ولقد أراد بعضهم أن يقول أن الواقعتين مرتبطتان (١) ولكن البروفيسور أبووسليم يري أن هذا الكلام محض افتراء وأن السيد محمد عثمان لم يحضر إلى السودان بتدبير المصريين وهو كذلك لم يمهد لغزو محمد علي كما قيل (٢) ، بل أن محمد عثمان (الختم) لم تكن له علاقة بالترك لأنه لم يتصل بهم مباشرة ، ملتزماً بسلوك أستاذه السيد أحمد بن ادريس في العزف عن الاتصال بالحكام ، ولم تنشأ علاقة حقيقية بين الختمية والترك إلا بعد وفاة محمد عثمان الختم وقيام ابنه السيد محمد الحسن بشؤون الطائفة (٣) ولقد كان المسؤولون في شرق السودان يجلونه ويحترمونه ويعتقدون بصلاحيته وأستقامته علي الحق حتي ان مظهر باشا وصفه في تقرير له بأنه (حافظاً للقرآن ميالاً للسكوت نفوراً من التعاطف) (٤).

ولقد علم حكام شرق السودان مكانة هذا الرجل ونفوذه بين القبائل في تلك المنطقة ، فتقربوا منه وأقاموا الصلات بينهم وبينه ولقد قدم لهم السيد محمد الحسن عوناً مخلصاً في عدد من المواقف أهمها ثورة الجهادية السود والتي نشبت في كسلا في العام ١٨٦٥م والتي أزهقت فيها الأرواح بشكل عنيف ولقد تدخل محمد الحسن الميرغني علي مرات عديدة لوقف النزاع بين الطرفين (٥) ورغماً عن أن السيد الحسن وصف بأنه ينفر من السياسة ويكره الفتن وإراقة الدماء (٦) إلا أن بعضهم حاول أن يقول إن الحسن كان يلعب دوره في أزمة الجهادية لصالح الإدارة التركية وهذا الجو تمهيداً للقضاء علي الثوار ويقال أيضاً أن بعض النواثر أتهمته بأنه كان وراء هذه الحركة (٧) ويقرر الدكتور أبووسليم أن الحسن كان مخلصاً في سعيه وجاداً فيه (٨).

(١) Holy Families and Islam in the Sudan (Holt P. M.P. 8)

نقلاً عن تاريخ الحركة الوطنية في السودان (محمد عمر بشير) ص ٢١

(٢) محمد إبراهيم أبووسليم : تحقيق كتاب الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية (ص ٣٢

(٣) نفسه : نفس الصفحة

(٤) الناصر عبدالله أبوكروقي : تاريخ مدينة كساد ١٨٨٣ - ١٨٩٧ - رسالة ماجستير (جامعة القاهرة -

كلية الآداب ١٩٦٧ - مطبوعة بالالة الكاتبة ص ٤٧

(٥) نعم شقير : مصدر سابق ص ٥٤٥ الي ٥٥٣

(٦) الناصر أبوكروقي : مصدر سابق ص ٤٧

(٧) محمد إبراهيم أبووسليم : تحقيق (الإبانة النورية) ص ٢٢

(٨) نفسه : نفس الصفحة

ولكن مواقف الإدارة التركية تجاه الختمية كانت تختلف من محل الي آخر ، ففي منطقة النيل كان الحكام يكرهون المواكب الهائلة التي كانت تحيط بزعماء الختمية عندما يحضرون الي هناك وينظرون الي (الخلفاء) كانوا عاطلين عن العمل وينكرون عليهم جمع الهدايا ويتضايقون من المشاكل التي يثيرونها من واقع المنافسة فيما بينهم (٩).

ولقد أخطت بعض مديري التركية سياسات معادية للختمية وضغطوا عليم ضغطاً شديداً (١٠). ونخلص علي ضوء ماتقدم أن الذي قام بين الختمية والاتراك لم يكن أبداً حلفاً قوياً بين حكومة البلاد وطائفة صوفية كما حاول نعوم شقير أن يصور هذه العلاقة (١١) ولقد ذهب أبوسليم الي أن إطلاق القول بوجود تعاون وثيق بين الختمية والإدارة التركية مما أوجد حقداً وحسداً من بقية الجماعات الصوفية تجاه الختمية أمر يعوزه الدليل وتنقصه الحجة (١٢) .

يعتقد كذلك الباحث الناصر أبوكروق أن الحكومة لم تكن تحابي الطريقة الختمية في أغلب الأحيان وتفضلها علي غيرها من الطرق إلا أنها كانت مجبرة علي ذلك ، نتيجة للنفوذ المتزايد لهذه الجماعة، والمكانة العظيمة التي وجدتتها هذه الطريقة عند جمهور السودانيين (١٣) ولقد شكل هذا الأمر مصدر قلق للإدارة التركية في بعض الأوقات كما ذكرنا .

إن المعارضة التي أبدتها الختمية تجاه المهدي أوجدت نوعاً من الحلف المنظم والهدف المشترك بين الحكومة والختمية عمل هذا الحلف لاحقاً في صد هجمات المهديين علي مناطق النفوذ الختمي في شرق السودان .

ونحن بطبيعة الحال نحتاج الي توضيح السبب الذي دفع الختمية الي معاداة الحركة المهديية ومجابهتها ويمكن أن نجعل هذا الأمر في عدة نقاط :-

١- إن هناك أختلافاً كبيراً بين الأسس الفكرية التي تنهض علي أساسها الحركتان ، فبينما دعت الختمية إلي العودة إلي الإسلام عن طريق تربية المريدين والاتباع تربية روحية علي غرار الصوفية ، بشكل بسلمي يبتعد كثيراً عن العمل السياسي المنظم ، نجد أن المهدي رفع شعار العودة إلي الإسلام عن طريق الاستيلاء علي السلطة وبناء الدولة وأقامتها عبر الجهاد بالسيف ومجابهة الظلم وعسف الحكام.

(٩) نفسه : نفس الصفحة

(١٠) نفسه : تحقيق (الابانة النورية) ص ٢٢ ، ٢٣

(١١) نعوم شقير : مصدر سابق ص ٣١٨

(١٢) محمد إبراهيم أبوسليم : تحقيق الابانة النورية ص ٢٢

(١٣) الناصر أبوكروق : مصدر سابق ص ٤٨

٢- هناك خلاف بين الطرفين في فهم لفظة (مهدي) فالختمية يرون أن المهدي مرتبطة بالختمية فالمهدي بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم يليه مباشرة الختم ونلاحظ الخلاف بين الفكرتين فالمهدي عند المهديين يعني شيئاً آخرأ علي الرغم من أن المهدي أستخدمي مبانيء فكرته من ذات المصدر الذي أستخدم عليه الختمية في بناء نظريتهم عن المهدي والذي ربطوه بطريقتهم .

٣- وفقاً لما جاء في كلام الختمية عن المهدي ، فهم يعتقدون أن محمد أحمد المهدي ليس مهديأ حقيقياً ، ويعتقدون أن حركته فتنة يجب أن تطفأ وهي حركة مارقة عن سلطان الدولة المسلمة خارجة عن طاعة والي وأمير المؤمنين .

لذلك فإننا نعتبر أن الختمية عارضوا الدولة المهدي لأسباب مبدئية وعقائدية ، وروجوا لاستقطاب الرأي الرفض للفكرة المهدي بناءأ علي أعتقدات خاصة لديهم بأن الدين الإسلامي يرفض أدياء محمد أحمد للمهدي (١٤) .

نتج عن هذا الموقف المضاب لتيار المهدي وجود صدام مسلح بين الختمية والأنصار ، ولكن قبل نشوء القتال بين الطرفين كان المهدي قد أرسل عدة خطابات إلي قيادة الختمية ، وقد بدأ إرسال هذه الخطابات أول مابداً في سنكات وذلك عندما حمل عثمان دقنة خطابات المهدي للختمية ولكنهم رفضوا دعوة المهدي ورفضوا مبايعة عثمان دقنة وسلموا منشورات المهدي للحكومة الترية ، يقول عثمان دقنة في مذكراته (ثم بعد توجهما - يعني أثنين من أنصاره هما أونور وطه حملهما هذه الخطابات من عندنا فرقا المكاتب إلي أربابها وخصوصأ الخلفاء الختمية ورؤسأؤهم الخليفة الصافي والخليفة عبدالله فدخلوا عليهم أعني المأمورية وأعطوهم كتبهم ونصحوهم في الله غاية النصح وهناك إذ ذلك شيخهم محمد عثمان بن سرالختم الميرغني فاتوا إليهم مستشيرين له فيما يفعلونه وعرضوا عليه جوابات السيادة فعند ذلك أن أمرهم أن يسلموا الجوابات إلي التركي الذي في المأمورية قائلأ لهم : لا شيء يخلصكم من الحكومة غير تسليم الجوابات لهم والتبري منها وإعلامكم انكم لستم بصدد هذا الأمر ففعلوا ذلك) (١٥) .

لقد أراد المهدي أن يكسب زعماء الطريقة الختمية ويستميلهم إلي تأييده ونصرته لمعرفة التام لحجم هؤلاء وسعة نفوذهم بين العربان وزعماء العشائر وأرسل المهدي مجموعة خطابات إلي كسلا

(١٤) الناصر أبوكروق : مصدر سابق ص ٥٦ ، ٥٧

(١٥) عثمان دقنة: مذكرات عثمان دقنة تحقيق محمد إبراهيم ابوسليم ط، أولي (الخرطوم: دار التأليف

الترجمة والنشر ١٩٧٤) ص ٣٦ ، ٤٠ الطابعون دار الطباعة جامعة الخرطوم

موجة الي السيد محمد عثمان بن السيد محمد سرالختم والي السيد البكري ابن عم محمد عثمان ثم أرسل خطابات بتواريخ مختلفة من بينها خطاب بتاريخ محرم ١٣٠١ هـ ، وهو مرسل للسيد أبوبكر بن جعفر الميرغني وهناك خطاب ايضا مرسل في ١٤ صفر ١٣٠١ هـ للسيد محمد عثمان يذكره فيه أنه خاطبه بخطابات وانذارات وأنه لم يتلق منه رد وقد خبره في ذلك الخطاب بين أمرين أولاهما الهجرة إليه أو الانضمام للطاهر المجنوب وعثمان دقنة والجهاد معهما (١٦).

وكان المهدي دائما يوضح لمحمد عثمان أنه يهتم به ويظن أنه عارف بمثل هذه الأمور الدينية ولايحتاج إلي تذكير أو تنبيه فليس هو بالغافل عن أمر كهذا يقول المهدي في خطاب له (فلا يخفي عليك أننا قد اعتنينا بك كثيرا وخاطبتك خطاب أهل المحبة غير مرة ، وعرفناك بعظيم منزلتك عندنا ورغبنا منك الإجابة لداعي الله ، وماكان ظننا فيك وفي فطانتك أن تتهاون بنفسك قدر هكذا وتتوقف مثل هذا التوقف وعساك يا حبيب أن تكون معنورا فالؤمن يلتمس المعاذير لأخيه علي أن تهلوك في هذا المقام غير لائق بك لأنك من الكرام المظنون فيهم أنهم لا يرون الدنيا شيئا (١٧).

ويعتقد أن المهدي لديه عدة نوافع جعلته يلح بصورة متواصلة في ارسال الرسل والخطابات لقيادة الختمية ، وأول هذه النوافع هو ما ذهبنا إليه من أن المهدي كان يهتم كسب ثقة وتأييد رجال الطرق الصوفية لأنه يظن أنهم حلفاؤه الطبيعيون في دعوته تلك ، وأن انضمامهم إليه ضمين بتقوية حجته وبتشجيعه علي المضي قدما في بناء دولته ، ولما كان الختمية من أقوى الجماعات الصوفية فقد كان لزاما عليه أن يسارع إلي كسب تأييدهم ويطلب نصرتهم بكل ما أوتي من جهد ، وثاني تلك النوافع قد يكون رغبة المهدي في كسب شخصية ذات نفوذ ديني مرموق في المنطقة حتي يجمع شتات القبائل المتفرقة المتنافرة هناك تحت قيادته، ولقد وجد المهدي زعامة المجازيب وكسبهم ولكن تلك الزعامة لم يكن لها نفوذ في كسلا . وربما أحس أن داعيته عثمان دقنة لم يكون محبوباً من أتباع المهدي ولذلك كان لابد من شخصية لها نفوذ عميق في المنطقة تدين لها كافة القبائل ، وهذه الشخصية لاتقتصر أهميتها علي محاربة الترك فحسب وإنما حمل الثورة فيما بعد الي بلاد الحبشة خاصة أن منطقة كسلا تمثل المفتاح الطبيعي لتلك الجهات بعامل القرب الجغرافي ، وثالث النوافع ربما كان رغبته في حسم الصراع في هذه المنطقة لصالحه فلو أنضم الختمية بثقلهم الجماهيري

(١٦) الناصر أبوكروق : مصدر سابق ص ٥٠ ، ٥١

(١٧) المهدي ، الأمام : منشورات ص ٢٩٤ ، ٢٩٥

إليه لرجحت كفته وأنتهي أمر الحكومة التركية هناك (١٨).
ولقد ظل المهدي يرأسل الختمية حتي بعد أن هاجر السيد محمد عثمان الي مصر إذ أرسل إليه مع الحسين الزهراء في شعبان ١٣٠٢ هـ (١٩) لقد تطور النزاع بين الختمية والانصار من مرحلة القول إلي العمل فنشب صراع دامي بين جيوش المهدي التي دفعها المهدي لفتح الشرق وبين رجال الطريقة الختمية ، ولقد أقدم الانصار علي هدم قبة السيد الحسن في كسلا عندما تفاقت الأوضاع بين الطائفتين (٢٠).

ولقد شهد النصف الأخير من حكم الدولة المهدية احتدام الصراع بين المهدية والختمية وذلك بسبب مساندة الختمية لحامية كسلا من ما مكنها من الصمود عدة شهور في وجه قوات المهدي (٢١) ، ولقد دارت عدة معارك بين الختمية وأنصار المهدي من بينها واقعة تنبكيابي في ١٩ يونيه ١٨٨٤ م ، فلقد هاجم محمد حامد إبراهيم ابن أخ ناظر الهدنوة القافلة التي أرسلها السيد محمد عثمان لابن عمه في الختمية وقتل من فيها وغنم ما فيها ، فأرسل السيد البكري من قتل محمد حامد وآخر معه (٢٢) .

كذلك هناك واقعة الفقيه عيسى والتي دارت بين الفقيه عيسى وبين محمد عثمان (٢٣) ولكن أزداد الضغط والحصار علي حامية كسلا مما دفع قائدها إلي طلب العون من مصر ، فلما تم ذلك قرر محمد عثمان الخروج من كسلا خشية أن يقع في الأسر وتساء معاملته فغادرها في ٦ رمضان ١٣٠١ هـ قاصداً مصر عن طريق مصوع وقد أقام بمصر بضعة أيام ثم توفي في يوم السبت ١٠ ربيع الثاني ١٣٠٣ هـ الموافق ١٧ يناير ١٨٨٦ م (٢٤) ، وتولي الختمية بعد نهبه ابن عمه السيد البكري ابن السيد جعفر الميرغني ولم يبق معه إلا أخلاط من الدناقلة والجعليين والحلانقة والبجة فبني سوراً حول الختمية وأتمه في أقل من شهر (٢٥) ثم وقعت وقائع أخرى بين الطرفين ، ولقد ظل السيد البكري في كسلا إلي أن سقطت في ١٨ رجب ١٣٠٢ هـ الموافق مايو ١٨٨٥ م حيث غادر إلي مصوع فسواكن فمكة مات فيها عام ١٣٠٤ هـ (٢٦).

ورغم سقوط حي الختمية قاعدة الطريقة فقد أستمريت مقاومة الختمية للانصار بشرق السودان وقد تولي تلك المقاومة السيد/ عثمان تاج السر وقد أخذ مدينة سواكن مركزاً لنشاطه (٢٧) ،

(١٨) الناصر ابوكروق : مصدر سابق ص ٥٢ ، ٥٣

(١٩) نفسه : ص ٥٣

(٢٠) علي صالح كرار (دكتور) : الطريقة الإدريسية في السودان ص ٨٧

(٢١) نعوم شقير : مصدر سابق ص ٩٠٦

(٢٢) محمد سليمان صالح ضرار : أمير الشرق ط أولي (الخرطوم الدار السودانية للكتب)

(٢٣) نعوم شقير : مصدر سابق ص ٩٠٨

(٢٤) نعوم شقير : مصدر سابق ص ٩٠٥

(٢٥) نفسه : ص ٩٠٩ ، ٩١٠

(٢٦) نفسه : ص ٩١٣

(٢٧) John Voll : A history of Katmiyyaha tariga in The Sudan P. 284

بالإضافة إلى شرق السودان فلقد نشط أهل البيت الميرغني في الدعاية ضد المهديّة في منطقة شندي فلقد تحرك نسوة من بيت محمد عثمان بتأليب الجعليين والشايقية علي المهديّة (٢٨) ، ولقد أتصلت حركة المعارضة حتي نهاية الدولة المهديّة حين عاد السيدان أحمد وعلي الميرغني لمواصلة النشاط الديني من جديد (٢٩).

الختمية والطريقة المجنوبية :

المجنوبية طريقة ذات جذور سودانية وهي متفرعة عن القادرية والشاذلية ، وأتباعها يتركزون في الدامر ، وماحولها ثم إلى الشرق في اتجاه نهر عطبرة حتي البحر الأحمر (٣٠). ولقد نهض بتجديدها السيد محمد المجنوب الصغير (١٧٩٦ - ١٨٣٢) أحد تلامذة السيد أحمد بن إدريس ، ولد محمد المجنوب ونشأ بالتمتة ثم أنتقل إلي الدامر موطن أبائه فحفظ القرآن وأخذ الطريقة الشاذلية علي الفقيه قمر الدين ثم عاد إلي التمتة مرة ثانية ، وفي ذلك الوقت ألتقي بالسيد محمد عثمان الميرغني الذي كان ماراً علي منطقة التمتة ومنذ أخذ السيد المجنوب تعاليم المدرسة الإدريسية (٣١)

تعرض المجانيب لسخط ونقمة حملة الدفتردار الانتقامية جراء مشاركتهم في مقاومة المد الإستعماري من قبل جيوش محمد علي اذ وقفوا في وجه إسماعيل باشا وقواته الغازية ، ثم عملوا في سبيل الثورة علي الإدارة المصرية بعد مقتل إسماعيل علي يد الملك نمر ، ولقد هدمت قبة الشيخ المجنوب وهرب قادة المجانيب إلي الشرق ، حيث انتشرت طريقتهم هناك واتخذوا خطأ معارضا للحكومة ، وفي هذه الاثناء كان الشيخ / محمد المجنوب الصغير في الأراضي الحجازية والتي قصدها برفقة السيد محمد عثمان الميرغني الختم إلا أنهما وفي مرحلة من مراحل سبيزهما معا أفترقا فاتجه السيد / محمد عثمان إلي مكة ، وأتجه الشيخ المجنوب إلي المدينة وأستقر بها (٣٢).

ويبدو أن المجنوب كان علي قدر كبير من العلم ولم يكن رجلاً عادياً في صفاته وسلوكه ، والشيء الذي جعل ابن إدريس يقر به ويدنيه منه ويشني عليه دائماً ، وكان يتبسط معه ، وتنطلق أساريره بشراً وفرحاً حينما يجيء اليه المجنوب وينصرف عن الذكر الي محادثته وملاطفته (٣٣) بل والي أبعد من

(٢٨) محمد محجوب مالك : مصدر سابق ص ١٤٩

(٢٩) علي صالح كرار (دكتور) : مصدر سابق ص ٩٥

(٣٠) أبوسليم : مصدر سابق ص ١٦٦

(٣١) علي صالح كرار (دكتور) : مصدر سابق ص ٥٢

(٣٢) أبوسليم : مصدر سابق ص ١٦٧

(٣٣) علي صالح كرار (دكتور) : مصدر سابق ص ٥٤

ذلك فلقد قال عنه ابن إدريس علي حد رواية السيد إبراهيم الرشيد (لو يعلم الناس ما في المجنوب لتركوا جميع الصالحين القريب والبعيد وأتوا إلي بابيه لما له من الكرامة والمنزلة عند الله). وقد عاد محمد المجنوب الصغير إلي السودان في عام ١٨٣٠م (٣٤).

وأقام في سواكن مدة من الزمن ، ثم أتجه بعدها الي الدامر حيث توفي بها ، ولم يكن له أبناء لذلك فقد خلفه الطاهر المجنوب وهو الذي قاد المجاذيب إلي الحلف مع المهدي ، وقد توفي في أوائل فترة المهدي ، وعاون ابنه محمد المجنوب وقريبه المجنوب أبوبكر عثمان دقنة في إدارة الشرق لصالح المهدي (٣٥).

لقد وقف المجاذيب في صف المهدي وحمل عثمان دقنة خطابات من المهدي موجهة إلي عدد من قبائل وعشائر شرق السودان ومشائخهم والي كافة المجاذيب وعلي رأسهم الشيخ الطاهر المجنوب (٣٦) الذي أمن بالمهدي وتلقي خطاباته بالقبول والترحيب وأظهر الاستبشار والفرح بكتابات المهدي إليه (٣٧).

وبهذا وقفت الطريقة المجنوبية مع الأنصار في خندق واحد ، ورفعوا شعار الدفاع عن الثورة المهدي في شرق السودان ، وقاوا حملتهم الضاربة علي المناوئين لتيار المهدي ، ولقد أكسب المجاذيب المهدي قوة فائقة وكانوا رسلها وحمايتها في شرق السودان ، وتولد موقفهم هذا نتيجة للعداء القديم بينهم وبين الإدارة المصرية ، وكانت بينهم وبين الختمية عداوة لشعورهم الدائم أنها تلقي السند والتأييد من السلطات المصرية ، فهم يحقدون علي الحكومة وعلي من يظهر نوعاً من التعاون او ضرباً من الولاء للحكومة وليس لرجل مثل عثمان دقنة وجميع أفراد أسرته ، المعروفة بأسرة الدقناي ، أن يرضوا عن حكومة قادته هو وأخوانه الي الإفلاس (٣٨) ، فلقد تعرض عثمان دقنة واخواه عمر وعلي ، إلي السجن ومصادرة ممتلكاتهم وتصفية أعمالهم لإتهامهم بالعمل في تجارة الرقيق التي كانت تدر عليهم أرباحاً طائلة من ورائها ، وكان القبض علي عثمان دقنة في العام ١٨٧٧م بالقرب ن شيخ برغوث وبحوزته عدد من الرقيق المصدر للجزيرة العربية ولقد أثر هذا الحادث في نفوس أفراد هذه الأسرة (٣٩) التي ظلت تضمر للحكومة الحقد والكراهية إلي حين تفجر الثورة المهدي ، التي ضمت في صفوفها أعدادا كبيرة من الذين تعرضوا لمظالم شخصية نتيجة لعسف وتسلط حكومة التركية السابقة..

(٣٤) نفسه: نفس الصفحة

(٣٥) أبوسليم : مصدر سابق ص ١٦٨

(٣٦) أبوسليم : تحقيق مذكرات عثمان دقنة ص ٣٧

(٣٧) نفسه : ص ٤١

(٣٨) مع هذا فقد كان عثمان دقنة مؤمناً إيماناً قاطعاً بالمهدي ولم يعاونها لمجرد انه كاره للتركية (أنظر:

أبوسليم : تحقيق مذكرات عثمان دقنة ص ٨)

(٣٩) أبوسليم : تحقيق مذكرات عثمان دقنة ص ٧

يري الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم (٤٠) أن أسباب النزاعات بين الختمية والمجاذيب واضحة، فالبيت الميرغني بما أمتلك من أمكانات علمية وتاريخية ، ومقدرات ترجع الي الذين نشروا وأرسوا طريقة هذا البيت ، أستطاع أن يحصل علي الجزء الأوفر من ولاء السودانين ، بل غيرت عدد من الأسر السودانية المعروفة طرائقها القديمة لتدخل في سلك الطريقة الختمية الوافدة ، لقد كان المراغنة من الأشراف الذين يحترمهم الناس ويحبونهم ، ويعتقدون في بركتهم وصلاتهم ، بينما كانت أسرة المجاذيب أسرة سودانية ، وعلي الرغم من مكانتها في قلوب السودانين إلا أن موقف المراغنة الأشراف أقوى منهم. ولم يعتمد المراغنة علي شرفهم فقط بل وسعوا في دائرة الولاء لهم والانتماء الي طريقتهن عن طريق الإصهار والتزاوج من بعض البيوت علي إمتداد السودان ، ثم أن هناك خصومة وقعت بين محمد عثمان والمجنوب في زمن سابق كذلك تزايد نشاط الختمية في مناطق نفوذ المجاذيب وكسبهم المتنامي لأعداد كبيرة من أتباع الطريقة المجنوبية ، وأخيراً علاقة الختمية الوثيقة وصلتهم بالحكم التركي المصري كل ذلك أوجد نوعاً من الجفوة والخلاف بين الختمية والمجاذيب .

(٤٠) ابوسليم : بحوث في تاريخ السودان ص ١٦٨

الفصل الثالث

الختمية والحكم الشائى الى الاستقلال:

المبحث الأول : الختمية والحكم الشائى

المبحث الثانى : الختمية وقيام الأحزاب السياسية وتطورها

المبحث الأول الختمية والحكم الثنائي

سجلت معركة أم دبيكرات في ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩ نهاية الفصل الأخير في سقوط حكم النولة المهدية ، وكانت النهاية الحقيقية قد تمت بسقوط أم درمان مقر الحكم ، قبل ذلك التاريخ بنحو خمسة عشر شهراً في ٢ سبتمبر ١٨٩٨ م ومنذ ذلك التاريخ أضحي السودان خاضعاً لسيطرة الحكم الأجنبي (١) لقد وقعت الحكومتان الفاتحتان اتفاقية الحكم الثنائي التي أصبحت الدستور الحاكم في السودان .

لقد وضعنا في الفصل السابق أن الخلافات بين الختمية وحكومة المهدية بلغت طوراً متأخراً من حيث السوء مما دفع السيد محمد عثمان (الأقرب) الي مغادرة قرية الختمية بشرق السودان إلي مصر حيث توفي هناك بعد وصوله بثلاثة أيام ودفن بباب الوزير ، وخلف وراءه السيد البكري ليتولي المقاومة ، ولقد بقي السيد البكري في كسلا ودافع عنها إلا أنه في النهاية خسر المعركة وسقطت المدينة في يد الأنصار ، وأصيب السيد البكري بجرح بليغ فرحل إلي سواكن بمعاونة العريان ، ولم يمض وقت طويل حتي توفي في مكة المكرمة ، أما أبنائه السيد جعفر والسيد الحسن والسيدة عائشة فقد أخذهم الأنصار إلي أم درمان فاقاموا بها حتي نهاية المهدية ، وكانت معهم والدتهم السيدة فاطمة الأولى بنت السيد محمد الحسن (٢).

لقد شجعت الحكومة المصرية سفر أسرة محمد عثمان إلي مصر وأهتمت بتيسير سبل العيش لهم ، فلقد كانت المخابرات تعتقد أنه من الضروري جدا الاهتمام بالسيد علي والأشراف علي تربيته ، جاء في مذكرة رسمية قلمها هولد اسميث مدير البحر الأحمر (١٨٨٨ الي ١٨٩٢) إلي السردادر حول تربية السيد علي أن تعليمه حسن إلا أنه محاط بعدد من الخلفاء الذين يخشي منهم ومن تأثيرهم السيئ عليه وبعد أن اقترح اسميث أبعاده عنهم أختتم مذكرته بقوله (أن الطريقة الختمية ما يزال لها نفوذ قوي في السودان ومن المتوقع أن يصير هذا الصبي في المستقبل ذا فائدة للحكومة) (٣) .

(١) أحمد محمد شاموق : من هوامش الثورة والسياسة (بيروت دار العربية للطباعة) ص ٩ طبع بمطابع

معتوق اخوان (اغفلت تاريخ الطبع)

(٢) محمد إبراهيم ابوسليم : السيد علي الميرغني وقيادة الختمية في بحوث في تاريخ السودان ط أولي (بيروت

: دار الجيل ١٩٩٢) ص ١٦٣ الي ١٦٥

(٣) نفسه: صفحات ١٦٣ ، ١٦٤

بقيت الأسرة في سواكن بسافر السيد علي وحده إلى مصر ، ولقد ظل السيد علي في القاهرة نحو خمس سنين كان يتلقى فيها العلم ويجاور الأزهر الشريف ويرتاده ويختلف إلى دار الكتب ، ويرى بعضهم أنه قد نال شهادة رسمية من الأزهر وهي شهادة العالمية (٤) ، إلا أنه فيما يبدو وكما ذكر أبو سليم لم يتلق تعليماً منظماً (٥) ، عاد السيد علي إلى سواكن وكانت الحركة المهدية قد انحسر مداه في الشرق بعد سقوط طوكر في ١٨٩١م ، واستيلاء الإيطاليين علي كسلا في عام ١٨٩٦م ولقد أفسح ذلك المجال أمام الختمية ليستردوا نفوذهم ويستعيدوا مكانتهم في تلك المنطقة ، ولقد استقبلته القبائل هناك بحفاوة بالغة ، ويعد سقوط الخرطوم أرتحل السيد أحمد والسيد جعفر والسيد الحسن ومعهم السيدة فاطمة إلى كسلا التي أضحت رسمياً للسيد أحمد أما السيد علي فلقد انتقل إلى الخرطوم في عام ١٩٠١م (٦).

أراد بعضهم أن يصور عودة السيد علي السودان كانت مع الجيش الغازي ، لقد أورد الدكتور جلي رأياً لعبد الاجد أبو حسيب تناوله في مذكراته يقول فيه إن السيد علي الميرغني كان هو رجل الدين الذي أختارته الحملة الفاتحة ليصحبها في رحلتها تستعين به في تنفيذ سياسة الغزاة ومخططاتهم (٧) ويظن الدكتور أبو سليم أن هذا مناقض للتاريخ وهو مما نشره خصومة للنيل منه ، فالسيد علي لم يعمل في الحكومة المصرية بأي صفة ، وكان عند الفتح بشرق السودان (٨) ويرى محمد حامد خير في كتابه عن الختمية أن فرية دخول السيد علي إلى السودان بصحبة الإنجليز هي من اختراع جنود كتشنر أنفسهم وذلك لأنهم كانوا يريدون كسب عطف القبائل في طول البلاد وعرضها (٩) .

سعت سلطة الحكم الثنائي في السودان إلى إيجاد حلفاء لها من بين الزعماء الدينيين (١٠) وعمدت في أوائل حكمها إلى إظهار حرصها على الدين الإسلامي وعدم رفضها لمبدأ احتكام السودانين إلى شرعهم الحنيف وتجلي ذلك من خلال خطاب كرومر الذي وجهه إلى الأمة السودانية في ٤ يناير ١٨٩٩م ، والذي واجه فيه استفساراً من أحد المشايخ للمستمعين إذا كانت أحكام الشريعة الإسلامية ستكون محترمة ونافذة المفعول في البلاد ، ولقد رد اللورد كرومر على هذا السؤال بالإيجاب (١١) ، وكان من ضمن ماقاله (ولقد صدرت لي أوامر خصوصية من صاحبة الجلالة

(٤) محمد أحمد حامد محمد خير : الختمية العقيدة والمنهج والتاريخ ص ٥٥

(٥) أبو سليم : مصدر سابق ص ١٦٥

(٦) نفسه : نفس الصفحة

(٧) أحمد محمد أحمد جلي (دكتور) : مصدر سابق ص ٢٦ ، ٢٧

(٨) أبو سليم : مصدر سابق ص ١٦٥

(٩) محمد أحمد حامد محمد خير : مصدر سابق ص ٥٨

(١٠) خالد حسين الكد : الأفندية ومفهوم القومية في الثلاثين سنة التي أعقبت الفتح في السودان ١٨٩٨ -

١٩٢٨م - مجلة الدراسات السودانية يصدرها معهد الدراسات الإفريقية و الآسيوية بجامعة الخرطوم المجلد

الثاني عشر العدد الأول إبريل ١٩٩٢م ص ٦٦

(١١) محمد فؤاد شكري (دكتور) : مصر والسودان تاريخ وحدة النيل السياسية في القرن التاسع عشر

١٨٢٠م ١٨٩٩م ط ثانية (دار المعارف بمصر ١٩٥٨) ص ٥٦٨

ملكيتي العظمي التي تحكم في غير هذه البلاد علي ملايين من المتدينين بدينكم الشريف لأعرب لكم عن مزيد أهتمام جلالتها بكل مايؤول الي سعادتكم وإنني الآن باسم جلالتها سأنقلد فرداً من أشرف أهالي السودان المسلمين وساما انجليزيا نظراً الي ما عرضه عنه سعادة الحاكم العام لجلالتها وهو السيد علي الميرغني (١٢) وكان كتشنر قد أذاع قبل خطاب كرومر هذا وفي العام ١٨٩٦م منشوراً بأنه أتي لكي يخفف أوجاع المسلمين وليشيد دولة اسلامية تقوم علي العدل والحق ، ولكي يشيد الجوامع ويساعد علي نشر الاعتقاد الصحيح (١٣).

أتجه المراغنة بعد الفتح إلي اعادة بناء طائفتهم بعد الذي أصابها في حكم المهدي ولقد وجبوا أعظم العون من جانب الحكومة ، التي أقامت حلفاً قوياً لها مع الختمية ، ولقد تمكن الختمية نتيجة لهذا التأييد الكبير من السلطات الحاكمة من استعادة مكائنتهم حتي غدت طريقتهم أقوى مما كانت عليه وأعظم ، وقد أسهم في تقوية الطريقة وزيادة عدد أفرادها كذلك سلسلة المصاهرات التي تمت بين البيت الميرغني وبين الهواره والخوجلاب والمريوماب والإنقرياب ، إضافة إلي أن الناس كانت في أذهانهم الحوادث التي جرت في المهدي ، وما لحق الناس من ظلم وعنت في فترة حكم المهدي (١٤) ، مما نفر الناس منها ودفعهم إلي بغضها وقبول أي حكم آخر بديلاً لها ، أما المراغنة فكانوا يرون أن أية تغيير للحكم سيكون ضدهم وسيسهل عودة المهدي ، ولقد أستمروا تعاون السيد علي زعيم الختمية مع الحكومة حتي ١٩٤٠م وكان طيلة هذه الفترة مقبلاً علي كل السودانين وكان رجل السودان الأول (١٥) ولكي نتعرف إلي نظر الإنجليز له نقرأ ماكتبه (ونجت) عام ١٩١٢م متوجهاً بكتابته هذه الي السيد علي قائلاً : (إن أسرة الميرغني تعيش في أماكن متعددة ومن ثم فهي تخضع لسلطات الإدارة الحكومية المحلية التي تعيش فيها ولكن ليس لدي أي ريب أنهم جميعاً ومثل الحكومة تماماً ينظرون إليك كرئيس لهم وزعيم) (١٦).

قام المراغنة بتوزيع النفوذ فيما بينهم علي أساس إقليمي فأصبح شرق السودانين كسلا والقلابات بما فيها البطانة تحت رعاية السيد أحمد الميرغني ومنطقة جبال البحر الأحمر وخور بركة والساحل حتي حدود مصر تحت رعاية السيدة مريم الميرغنية ، وتركت رعاية الختمية داخل ارتريا لرعاية السيدة علوية والسيد جعفر البكري ، أما وسط السودان كله حتي كردفان ، وشماله وجنوبه

(١٢) مكي شيبكة (دكتور) : السودان عبر القرون ص ٤٨١

(١٣) جعفر محمد علي بخيت (دكتور) : الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان ١٩١٩-١٩٣٩م ، نقله الي العربية هنري رياض ، ط أولي دار الثقافة ببيروت ومكتبة خليفة عطية الخرطوم ١٩٧٢م ص ٣١ ، ٣٢

(١٤) محمد إبراهيم ابوسليم : مصدر سابق ص ١٦٦

(١٥) نفسه : صفحات ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣

(١٦) Gabriel Worborg : The Sudan Under Wingate P. 99

حتى أعالي النيل الأبيض وأعالي النيل الأزرق فإنها مناطق نفوذ السيد علي الميرغني ولقد أعتبر السيد علي الزعيم الأكبر للطائفة (١٧).

في الواقع أن التعاون بين الحكومة والطوائف الدينية لم يقتصر علي الختمية وحدهم خاصة بعد مضي فترة علي تسلم الإدارة الجديدة سلطاتها وضربها بقوة علي يد الخارجين الذين قاتلوا ثورات صغيرة ضد المستعمرين ، لقد ساند الزعماء الدينيون الحكام الإنجليز في كثير من المواقف ، فلقد أنكروا علي تركيا موقفها حيال بريطانيا ودخلها في تحالف عسكري مع المانيا والزعماء الدينيون يقفون هذا الموقف دعماً لتحركات بريطانيا ، ولقد دفعهم هذا التأييد الي التوقيع علي سفر الولاء أمام السير (ونجت) (١٨).

وبعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى في شتاء عام ١٩١٩م بإنتصار الحلفاء وانهيار الدولة العثمانية ، سافر وفد من زعماء السودان لزيارة لندن لتهنئة الملك بالنصر في الحرب وكان علي رأس الوفد السيد علي وفي عضويته السيد عبدالرحمن المهدي (١٩) ولقد قدم السيد عبدالرحمن سيف والده الأمام المهدي إلي الملك تعبيراً عن ولائه ولقد كان رد الملك علي ذلك قوله (إني أقبل هذا السيف واعترف بالولاء الصادق الذي حملك لتقديم الهدية ، وإني كدليل لولائك تجاهي أستلمه وأرده إليك ولورثتك) (٢٠).

قام السادة عبدالرحمن المهدي وعلي الميرغني ويوسف الهندي بعد ذلك بإصدار جريدة الحضارة وكان حسين شريف ابن اخت السيد عبدالرحمن رئيس تحريرها (٢١) ولكنها خضعت بعد ذلك لسيطرة الحكومة مالياً وأديبياً .

لقد قام السيد علي الميرغني زعيم طائفة الختمية بتقديم خدمات جليلة لصالح الحكومة ، فمن الأوار البارزة التي لعبها أتحاله بالسلطان علي دينار ناصحاً إياه بعدم الخروج علي الحاكم العام وموضحاً له ان الحكومة لا تبيت له الشر ، ودعاه الي سحب جيشه الذي كان يهدد الحدود الغربية ، وقد نجح مسعاه هذا وقد تم كل ذلك بإيعاز من المخابرات كذلك لعب السيد علي دوراً مماثلاً عندما أتصل بالشريف حسين بن علي شريف مكة بتدبير المخابرات وأصلح بينه وبين الأدارسة (٢٢). ولما جاءت ثورة ١٩١٩م المصرية وقف السيد علي وسائر الزعماء السودانيون ضد تيارها ،

(١٧) أحمد محمد أحمد جلي (دكتور) : مصدر سابق ص ٢٩

(١٨) عثمان سيد محمد اسماعيل (دكتور) : الختمية والأنصار (الخرطوم : الشركة السودانية للتوزيع) ص

٢٨ طبع بمطابع التمدن (أغفلت تاريخ الطبع)

(١٩) عبدالرحمن المهدي : جهاد في سبيل الاستقلال أشرف علي إعداده الصادق المهدي طبع بمطابع

المطبعة الحكومية ص ٢٣ (بدون تاريخ) .

(٢٠) بشير محمد سعيد : خبايا وأسرار في السياسة السودانية ٥٢ - ١٩٥٦ ط أولي (الخرطوم : دار

جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩٣م) ص ٥٢ ، ٥٣ طبع بمطبعة جامعة الخرطوم

(٢١) عبدالرحمن المهدي : مصدر سابق ص ٢٦

(٢٢) محمد ابوسليم : مصدر سابق ص ١٨١ ، ١٨٢

وأعلنوا أنهم مدينون للإدارة الإنجليزية ولخدماتها العظيمة في التعمير وأنهم لاعلاقة لهم بما يجري في مصر وهم علي ولاهم لانجلترا (٢٣).

وفي ثورة ١٩٢٤م في السودان ساند السيد علي الحكومة ولم يؤيد الثوار (٢٤) ، ويرى الدكتور ابوسليم أن الجيل الذي شاهد المهدية وتلمس أهوالها وأكتوي بظلمها كان ضد أي تغيير في الوضع لأن التغيير ربما يكون في صالح الأنصار ، أو تعود الإدارة التركية البغيضة وكانوا يظنون أن الإدارة الإنجليزية تقدم يد العون للسودانيين علي طريق التقدم والرقي ، لذلك فإن مساندتهم للإنجليز لها مبرراتها ومسوغاتها ، وبعد مضي الوقت ومع ازدياد حركة التعليم ونمو نفوذ المثقفين أصبح الاتجاه نحو الاستقلال ورفض الاستعمار هو الأقرب الي النفوس (٢٥)

(٢٣) نفسه : ص ١٨٢

(٢٤) نفسه : مصدر سابق ص ١٨٢

(٢٥) نفسه : نفس الصفحة

المبحث الثاني الختمية وقيام الأحزاب السياسية وتطورها

أولاً : مؤتمر الخريجين :

عقب معاهدة عام ١٩٣٦ م ، وفي ١٩٣٧ م في شهر أكتوبر ظهر اتجاه لدي خريجي ومدني بتكوين جمعية أدبية ثقافية فأنجتمتع الأعضاء وأختيرت لجنة أسندت رئاستها للشيخ مدثر البوشي الذي أفتتح أعمال هذه الجمعية بمحاضرة عامة (١) ، وتلقف شيخ أندية الخريجين بأمر درمان الدعوة وبشر أعضاؤه بهذه الفكرة ، وكتب للمؤتمرين من الخريجين أن يلتقوا في ١٢ فبراير ١٩٣٨ م واكتظ بهم فناء نادي الخريجين العام وأنتخبوا لقيادته لجنة من ستين عضواً ، وأختير إسماعيل الأزهرى أميناً عاماً للمؤتمر في دورته الأولى (٢).

ويبدو لنا في هذه الفترة مدى اهتمام الإنجليز بالخريجين بالنظر إلى الوفد السوداني الذي شكلته الحكومة لحضور حفل التتويج الملكي في بريطانيا في العام ١٩٣٨ م ، فلقد شكل أسباسباً من الشباب والموظفين ومنوبين عن المتعلمين بالإضافة الي السيد محمد عثمان ابن شقيق السيد علي والسيد الصديق عبدالرحمن المهدي (٣).

وهناك من يزعم أن فكرة قيام المؤتمر كانت أصلاً من وحي مكتب مخابرات الإدارة البريطانية في الخرطوم والذي كان يهدف إلى خلق تنظيم يكون بمثابة الترياق المضاد للتدخل المصري في السودان والذي أطل بوجهه من جديد بعد أبرام اتفاقية ١٩٣٦ (٤) ، ولأشك أن هذا الرأي جنح الي المبالغة والغلو فالفكرة ليست من بنات أفكار المستعمرين كما أن المؤتمر لم يكن في أي من سني حياته مطية للإدارة الإستعمارية وإنما كان نبتاً طبيعياً أفرزته تطلعات أبناء السودان الوطنية (٥).
شعر المصريون بعد زيارة رئيس الوزراء المصري للسودان أن المؤتمر لم يكن صنيعة لبريطانيا ومنذ ذلك الوقت تغير موقف مصر الرسمي نحو المؤتمر ، وبعد قيام الحرب العالمية رأي المؤتمر أن اشتراك السودان في الحرب بجانب الحلفاء لابد له من ثمن وهو أن يمنح السودان أاستقلاله فبعث بمذكرة الي الحاكم العام في ابريل ١٩٤٢ م مطالباً الحكومة بأعطاء السودانيين حق تقرير المصير

(١) مدثر علي البوشي : البعث الوطني وروافد الزحف (الخرطوم : دار الفكر الحديث) (اغفلت تاريخ

الطبع) صفحات ٤٣ ، ٤٤

(٢) أحمد سليمان : ومشيناها خطي - صفحات من ذكريات شيوعي أهتدي - الجزء الثاني الطبعة الأولى

(الخرطوم : دار الفكر ١٩٨٦ م) ص ١٠٧

(٣) جعفر محمد علي بخيت (دكتور) : مصدر سابق ص ٢٨٨

(٤) أحمد سليمان : مصدر سابق ص ١٠٧

(٥) نفسه : ص ١٠٩

وعدد من المطالب السياسية الأخرى ، ولقد رفض السكرتير الإداري نيابة عن الحاكم العام فحوي هذه المذكرة وردها إلي أصحابها (٦).

أثر رد الحكومة هذا علي كيان المؤتمر فشطره شطرين فأطلق الفريق الذي أخذ موقفاً متشدداً ضد الحكومة علي نفسه الأشقاء وأعلن مطالبته بقيام حكومة سودانية في اتحاد مع مصر تحت التاج المصري أما الفريق الآخر فقد نادى باستقلال السودان ثم مالبت هذا الفريق أن أنشأ حزباً سياسياً في ١٩٤٥م هو حزب الأمة (٧) ، ولقد أستطاع أتباع الفريق الأول برئاسة إسماعيل الأزهرى أن يسيطروا علي المؤتمر بسيطرة تامة (٨) .

أما عن بداية ارتباط المؤتمر بالزعماء الدينيين فنحن ننقل هنا حديث السيد علي عبدالرحمن الأمين حيث يبين بداية هذا الارتباط ونشأة الأحزاب السياسية (تحول المؤتمر في عامه الخامس من منظمة تعليمية إلي إدارة سياسية وأذكر إننا في هذه الأثناء اجتمعنا ونحو عدد من كبار الخريجين بعبدالرحمن المهدي بالعباسية بمنزله ودار الحديث حول الخطة السياسية التي ينبغي أن يسلكها المؤتمر بعد أن أصبح أداة سياسية فانقسم المجتمعون إلي فريقين فريق يرى أن يسلك خطة التعاون مع البريطانيين ومطالبتهم لإعداد السودانيين لحكم أنفسهم بانفسهم وتسليمهم شئون البلاد تدريجياً إلي أن يتحقق الاستقلال مرتبطاً بصداقة بريطانيا وعزز هذا الرأي بحماس السيد عبدالرحمن ، بل في الواقع أن السيد عبدالرحمن هو صاحب هذا الرأي والداعي له وكذلك نتيجة هذا النقاش ان أنقسم الحاضرون وكان عددهم يربو علي العشرين وكلهم من الخريجين المهتمين بمستقبل البلاد ومن قادة المؤتمر الذين عملوا علي تحويله من مؤسسة تعليمية إلي أداة سياسية وكان فريق يرى رأي السيد عبدالرحمن في التعاون مع الإنجليز كما ذكرت وفريق يرى أن التعاون مع المستعمرين لا يمكن أن يؤدي إلي تحرير البلاد من الاستعمار فمهما حسن الظن بالإنجليز لا يمكن ان نفتتح أنهم يمنحون السودان أستقلاله برضاهم وأختيارهم وينسحبون منه وحتى لو اضطروا إلي منح السودان نوعاً من الحكم فسيكون حكماً زائفاً واستقلاً اسمياً وسيظل الحكم الحقيقي في يد البريطانيين فلا بد لنا من تحمل أعباء النضال ضد البريطانيين والعمل علي تحرير البلاد من قبضتهم وطرد الاستعمار من أرضنا مهما كلف ذلك من ثمن وأنتهي النقاش وانفض الاجتماع وتآلف حزب

(٦) ضرار صالح ضرار: تاريخ السودان الحديث الطبعة الرابعة (بيروت : دار مكتبة الحياة ١٩٦٨)

صفحات ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠

(٧) ضرار صالح ضرار: مصدر سابق ص ٢٧١

(٨) بابكر بدري : حياتي ج ٣ ، ص ٦٦

الأشقاء ثم تالف بعده بفترة ليست طويلة حزب الاتحاديين وحزب الأحرار ورأينا أننا لانستطيع إنتزاع المؤتمر من أنصار السيد عبدالرحمن من الخريجين إلا اذا أتجنا نحو السيد علي الميرغني وأقنعناه بالخط السياسي ليوجه أتباعه من الخريجين لتأييدنا وأتصلنا فعلاً بالسيد علي فرحب بنا كل الترحيب وأبدي حماساً بالغاً ووطنية صادقة وشجعنا علي النضال مؤكداً أن الخريجين من أبناء الخمية وجماهير الختمية في كل مكان في السودان سيلتفون حولنا في نضالنا .. ولقد بذل السيد علي جهداً كبيراً لتوحيد الأحزاب الاتحادية فلم يتيسر ذلك وأخيراً تم الإتفاق علي التزام هذه الأحزاب بأن لا يحارب بعضها بعضاً وأن يحافظوا علي العلاقة الحسنة بينهم فتم ذلك وألتزم به الجميع (٩).

لقد ظلت العلاقة بين السيدين عبدالرحمن المهدي وعلي الميرغني سيئة ومتردية دهرًا طويلاً وظل التنافس بينهما شديداً وكان السيد الميرغني يتهم السيد المهدي بالتطلع إلي إقامة حكم ملكي في السودان يعتلي عرشه ، ويتهم الإدارة الانجليزية بتشجيع هذا التطلع وكان تدهور العلاقات هذا سبباً مباشراً لتأييد الختمية لحزب الأشقاء ولتأييد الحزب الوطني الاتحادي الذي أندمجت فيه الأحزاب الاتحادية كلها فيما بعد بإيعاز من اللواء محمد نجيب ، وعلي الرغم من تأييد الختمية للحركة الاستقلالية ، فقد ظل السيد علي يردد في مناسبات كثيرة عن عدم اشتغاله بالسياسة ، لقد كان السيد علي يخشي من تطلعات السيد عبدالرحمن بشدة ولقد صرح السير جيمز روبرتسن السكرتير الإداري لحكومة السودان : أنه مادامت تداعب السيد عبدالرحمن المهدي طموحات ملكية ، فإنه - أي السيد علي - يؤيد أي حزب يعايد وهو يفضل أن يصبح هيلاسلاسي (كآخر من يخطر علي البال) ملكاً علي السودان ، وقال بأنه يمقت المصريين وليس هناك سوداني واحد يريد لهم ولكن التركية السابقة رغم سوءها كانت أحسن من المهدية وهو لا يريد قيام مهدي أخري (١٠).

لقد كان السيد علي يتصور أن الانجليز يساندون السيد عبدالرحمن في تطلعاته تلك ، إن سياسة الإنجليز تجاه السيد المهدي تبدلت تماماً فبينما كان السيد علي موضوع الإجلال والتكريم في عام ١٩٠٠ كان يرى هناك شاب يرتدي ملابس رثة يركب حماراً يتجه به نحو مركز أم درمان ليتناول خمسة جنيهات شهرياً قررتها الحكومة معاشاً له ذلك هو السيد عبدالرحمن (١١) ولكن هذا

(٩) علي عبدالرحمن الأمين : الديمقراطية والاشتراكية في السودان (بيروت) منشورات المكتبة المصرية ١٩٧٠ ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣

(١٠) بشير محمد سعيد : مصدر سابق ص ٥١ ، ٥٢

(١١) J. S. R Duncan : The Sudan's path to independence p (١١)

الوصف الذي أورده له المستر دنكان في كتابه طريق السودان الي الاستقلال أنقلب رأساً علي عقب بعد عشرين عاماً عندما تغيرت الظروف لمصلحته وأثارت في نفسه طموحات أن يعترف به كزعيم للسودان ولقد ظل السيد علي الميرغني قبل ذلك يحتل مركز الزعيم الديني المرموق الوحيد الذي تضع الحكومة ثققتها فيه (١٢) لقد إهتزت هذه المكانة الرفيعة بعد الحرب الأولى ، وتغير موقف السيد علي من الانجليز بشكل نهائي بعد العام ١٩٤٠م أنتقل الصراع بين السيدين من المجال السياسي الي الإطار الديني ، ومن ذلك مارواه الشيخ محمد الأمين القرشي والذي قضى جزءاً من حياته مبشراً بالإسلام في جبال النوبة ونجح نجاحاً عظيماً في ذلك ، وأسلم علي يديه مجموعات كبيرة من أبناء النوبة تقدر بالالاف ، فلما سمع السيد عبدالرحمن بنجاحه هذا طلب منه أن يكون التبشير باسمه ويعطيه مقابل ذلك الأموال اللازمة لهذه العملية ولكن الشيخ القرشي رفض هذا العرض ، فما كان من السيد عبدالرحمن إلا أن أرسل جماعة من شباب الأنصار إلي منطقته بغرض التبشير ، فلما تسامع الختمية بهذا الأمر هرعوا الي هناك فكتب الشيخ القرشي إلي السيدين حتي يتراجعا عن ما فعلاه والتقي بالسيد علي ويبدو أن السيد علي كان لطيفاً جداً في تعامله مع الشيخ محمد الأمين علي عكس السيد عبدالرحمن الذي حاول أن يماطله مما أدي إلي تحول الشيخ القرشي هو وابناء منطقته إلي الطريقة الختمية بعد أن كانوا أنصاراً (١٣).

لقد سعت الختمية الي تجميع أكبر عدد من المؤيدين حول حركتها السياسية ولمناصرة تيارها السياسي ، فلقد تم لقاء في عطبرة بين بعض قيادات الحركة العمالية وبعض قيادات الختمية ، وكانوا يمتلكون العديد من الولاءات في داخل عمال السكة حديد (١٤) لقد أوجدت الختمية اتباعاً لحركتها السياسية عند أغلب المثقفين وكثير ممن يحملون شهادات رفيعة في مجالات تخصصهم كانوا يميلون الي الختمية ويؤمنون بقيادة السيد علي السياسية (١٥)

(١٢) بشير محمد سعيد : مصدر سابق ص ٥٢

(١٣) أحمد عبدالرحيم نصر (دكتور) : الإدارة البريطانية والتبشير المسيحي في السودان دراسة أولية

وزارة التربية والتوجيه (الشؤون الدينية والأوقاف ١٩٧٩) ص ٩٩ الي ١٠٣

(١٤) د. حسن علي الساعوري (وآخرون) : عمال السودان والسياسة (القاهرة : الاتحاد الإسلامي الدولي

للعمل ١٩٨٦م) ص ٧٦ مطبعة حسان

(١٥) محمد إبراهيم ابوسليم : لجنة تأيين البروفيسور مكي شبيكة ٩٠٥ - ١٩٨٠

ثانيا : الأحزاب السياسية والحكم الذاتي :

وقعت الحكومتان الانجليزية والمصرية اتفاقاً ثنائياً في عام ١٩٥٣م حول السودان يتضمن هذا الاتفاق كفالة حق السودان في تقرير مصيره عقب فترة حكم أنتقالي يتوفر للسودانيين فيها الحكم الذاتي الكامل (١٦) .

ولقد جرت الانتخابات البرلمانية لتشكيل أول حكومة وطنية بعد الإستعمار الذي دامت فترته أكثر من سبع وخمسين عاما ، وكان طرفاها الرئيسان معسكر الاتحاديين بقيادة إسماعيل الأزهرى وتحت رعاية زعيم الختمية علي الميرغني ومعسكر الاستقلاليين الذي كان يتزعمه عبدالله بك خليل ويرعاه زعيم الانصار عبدالرحمن المهدي ، وكان شعار الاتحاديين وحدة وادي النيل تحت التاج المصري وشعار الاستقلاليين الاستقلال التام (١٧) .

وقد حصل الحزب الوطني الاتحادي علي ٥٣ مقعداً وهي تمثل أغلبية مقاعد البرلمان بينما حصل منافسه حزب الأمة علي ٢٢ مقعداً من جملة المقاعد وهي ٩٢ مقعداً من جملة المقاعد وهي ٩٢ مقعداً وتقسمت الأحزاب الأخرى بقية المقاعد المتبقية (١٨) وكانت النتيجة غير سارة لإنجليز حكومة السودان بل ومذهلة فقد كانت تقديراتهم أن حزب الأمة سيفوز بثلاث وثلاثين دائرة يليهم الاتحاديون بشقيهم (الأشقاء والختمية) الذين قدروا انهم سينالون ثمانى عشرة دائرة ثم الحزب الجمهوري الذي حسبوا أنه سيمثل بستة عشر نائباً (١٩) .

وكونت الحكومة برئاسة الأزهرى ، فسارع بتحديد أول مارس ١٩٥٤ يوماً للإحتفال بئول برلمان سوداني ودعي الرئيس محمد نجيب للمشاركة في أفراح ذلك اليوم (٢٠) .

ولقد وقعت بعد ذلك أحداث مارس الشهيرة والتي روي الشيخ علي عبدالرحمن جزءاً منها فقال (نهينا لاستقبال الرئيس نجيب في المطار وجدنا أنفسنا وسط صفين متراصين شاهرين الحراب ، أما نجيب لو كان قد نزل من الطائرة وجاء بالطريق الذي نحن فيه لكنا كلنا تم اغتيالنا لقد كان ألهاما أو شيئاً مدبراً أن نزل نجيب من الطائرة ويذهب بطريق غير طريق المطار ، اثناء ما نمر في

(١٦) أحمد سليمان : مصدر سابق ص ١٩٦

(١٧) نفسه: ص ٢١٤

(١٨) محمد إبراهيم الطاهر : تاريخ الانتخابات البرلمانية في السودان - أصدار بنك المعلومات (بنون تاريخ

ص ٢١)

(١٩) أحمد سليمان : مصدر سابق ص ٢٢٣

(٢٠) أحمد سليمان : مصدر سابق ص ٢٢٦

طريق المطار كان السيد عبدالرحمن المهدي طالعاً علي رأس بيت السيد الصديق في أمتداد العمارات وكان يظلمونه بواسطة شمسية وهو يؤشر للأنصار كأنه يقول لهم نجيب هرب بالجهة الأخرى وفعلوا فهم الأنصار إشارة السيد عبدالرحمن فتحولوا ناحية سراي الحاكم العام (٢١) ويقول السيد محمد أمين حسين عن هذه الأحداث وعن موقف الختمية ، (أما موقف السيد علي فإنه بمجرد علمه بأن هناك تحركاً للأنصار أرسل خلفاءه كي يطوفوا علي الختمية ويأمرهم إلا يخرجوا لاستقبال نجيب) (٢٢).

لقد كانت هذه الأحداث مؤامرة رتبها البريطانيون وشارك في تنفيذها الحاكم العام وساعدهم الأنصار الذين هزموا في الانتخابات وكان الهدف منها ضرب أي اتجاه في السودان للاتحاد مع مصر (٢٣).

لقد بدأت الخلافات تظهر داخل الحزب الوطني نتيجة لتكتل الختمية وسعيهم إلي أبعاد العناصر التي لايتقون في ولائها للختمية ، ولقد تفاقم الخلاف إلي أن أدي في نهاية الأمر الي انشقاق الختمية وتأسيس حزب خاص بهم هو حزب الشعب الديمقراطي ولقد قادت الانشقاقات داخل الحزب الوطني الي ما عرف بلقاء السيدين والذي كان من ثماره سقوط حكومة الأزهرى وقيام حكومة جديدة قومية مؤلفة من الختمية والأنصار برئاسة عبدالله خليل ، ويظن محمد أحمد محبوب أن التحالف بين المهدي والميرغني أعظم كارثة مني بها تاريخ السياسة السودانية ففي هذا التحالف سعي عدوان لدوان بدافع الجشع والتهافت علي السلطة والمصالح الشخصية الي السيطرة علي الميدان السياسي (٢٤) وكان اللقاء في آخر نوفمبر من عام ١٩٥٥م في منزل الميرغني وظل الإجتماع بينهما خمسين دقيقة ، وكانت تلك أول مرة يلتقيان منذ أكتوبر ١٩٤٦م عندما قرر المهدي السفر إلي بريطانيا لمقاومة بروتوكول صدقي - بغن وقد تم الاعداد للقاء السيدين منذ الثامن والعشرين من نوفمبر عندما اجتمع السيد عبدالله الفاضل المهدي بالسيد علي الميرغني أاستجابة لدعوة منه واقترح أن يتم اللقاء فوراً بزيارة يقوم بها الميرغني للمهدي في داره ولما نقل هذا الاقتراح للمهدي شكر الميرغني عليه وفضل أن يتم اللقاء في منزل صاحبه بالخرطوم بحري ، فاحسن الميرغني أاستقبال ضيفه ، ورد الزيارة للمهدي بداره بالخرطوم بعد يومين من اللقاء الأول (٢٥).

(٢١) محمد أحمد كرار: الأحزاب السودانية والتجربة الديمقراطية (الخرطوم: دار الفكر للطباعة والنشر

١٩٨٥م) ص ١٠

(٢٢) نفسه : ص ١٠

(٢٣) أحمد سليمان : مصدر سابق ص ٢٢٨

(٢٤) محمد أحمد محبوب : الديمقراطية في الميزان ط الثالثة (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر

١٩٨٩م) ص ١٩٠

(٢٥) بشير محمد سعيد : مصدر سابق ص ١٥٠

وأصدر السيدان البيان التالي :

(الآن وقد شاء الله فتحقق الأمل العظيم الذي ظلت تنشده البلاد منذ أمد ، فالتقينا وتضامنا إبتغاء مرضاة الله ، يسعدنا أن نعلن عزمنا علي الوقوف متكاتفين في كل مايعود علي الأمة السودانية الكريمة بالخير والسعادة والحرية والسيادة الكاملة ، وإننا إذ نحرص علي أن تجتاز البلاد هذه المرحلة الدقيقة بطمأنينة وسلام الي مصيرها العظيم المأمول نهيب بالمواطنين جميعا أن ينسوا نواتهم في سبيل خدمة وطنهم العزيز وتحقيق أمانيه الكبرى حتي يتوفر الاستقرار والطمأنينة الضروريين في هذا الظرف العصيب ونرجو أن يتهيا بذلك الجو الملائم لتعاون جميع أحبابنا ومؤيدينا علي البر والتقوي والخير العام ، كما نأمل أن يمكن التقاء جميع الأحزاب في الحال علي قيام حكومة قومية تكون صمام الأمان لكل ذلك ، وتستطيع أنقاذ البلاد من كل خطر متوقع والله المستعان والموفق لما فيه الخير والصواب(٢٦).

لقد أشرت الختمية بصورة مؤثرة في واقع الحياة السياسية وأسهم السيد علي الميرغني بعد أن كان حليفا للإنجليز ومتعاوناً معهم بكل الصدق والإخلاص ، أسهم في رعاية حركة الوطنيين من المثقفين وخريجي المدارس السودانية ووجد هؤلاء في شخصية علي الميرغني ملاذاً ونصراً لدعوتهم الكبيرة في طلب الوحدة مع مصر وربط الحركة الوطنية السودانية بحركة التحرر الوطني في مصر ، وعلي الرغم من أن السيد علي لم يكن محباً للمصريين في أوقات كثيرة ولم يكن يرغب في عودتهم إلي سدة الحكم من جديد ، وظل مؤيداً لسياسة الإنجليز تجاه مصر إلا أنه تحول في وقت لاحق الي تأييد التيار الوطني المنادي بوحدة السودان ومصر تحت التاج المصري وأصبح من المؤمنين بهذا التوجه ويقوة.

(٢٦) بشير محمد سعيد : مصدر سابق ص ١٥٠

القيادة داخل الطريقة الختمية :

يعتبر السيد محمد عثمان الميرغني (الختم) الشيخ الأول للطريقة الختمية فعلي يديه كان تأسيس الطريقة وبسبب مجهوداته العظيمة أستطاع أن يضم لها أكبر عدد من الأتباع والأنصار ، ولقد كان مركز رئاسته في مكة حيث أقامته الدائمة هناك ولكنه تحول عنها قبل وفاته بقليل الي الطائف نتيجة للمضايقات والتنافس الذي وجده من علماء مكة وقد أرسل ابنائه سفراء عنه ينشرون الطريقة ويدعون إليها ويمارسون بالنيابة عنه تنظيم شؤون المريدين الدينية والاجتماعية وكان من حظ السيد محمد سرالختم وهو أكبر الأبناء أن أرسل الي اليمن وحضرموت وهذا يشير إلي إهتمام السيد محمد عثمان وعنايته بهذه المنطقة ، وهي محل استقرار استاذة أحمد بن إدريس .

أما السيد محمد الحسن وهو من أم سودانية هي رقية بنت جلاب من أسرة معروفة بغرب السودان (كما أوضحنا من قبل) ، ويبدو أن محمد عثمان الميرغني لما أرسل ابنه إلي السودان لينوب عنه أمره بإقامة صلات مع الحكام وأن لا يكون بمعزل عنهم علي خلاف نهجه هو والذي أخذه عن أستاذه أحمد بن إدريس (٢٧) وأخذ السيد الحسن من قرية الختمية . وهي في الأصل أسمها السنية وكان والده السيد محمد عثمان قد أخذها قاعدة لدعوته في السودان - أخذها مركزاً لقيادته ، ومنها أنطلقت الدعوة الختمية لتعم وتنتشر في مناطق أرتيريا وشرق السودان ، وقد أستطاع محمد الحسن الميرغني أن يرسخ لدعوة أبيه ، وأن يمكن لأفكاره وتعاليمه ، فكان بحق الرجل الذي أستطاع أن يثبت جنور الطريقة ويوجد لها العديد من الامتدادات الولاءات المتزايدة في أرض السودان.

إن العلاقات الجيدة والحميمة التي أقامها السيد الحسن مع الأسر والعائلات الدينية السودانية قد وفرت له قدراً كبيراً من الاحترام والتقدير بين السودانيين ، ومكنته أيضا من بث دعوته بين هؤلاء ، لقد كان السيد الحسن في غاية المرونة والتسامح مع أهل الطرق الأخرى مما ساعده علي وجود تعاظم دائم معه ومحبة كبيرة توفرت لدي السودانيين تجاهه ، خاصة إذا اعتبرنا أصله الشريف فهو

(٢٧) ابن إدريس الرباطي ، أحمد : الإبانة النورية . ط دار الجيل بيروت - صفحات ١٣٤ ، ١٣٥

مصدر توقيير وتقديس له أيضا ، وقد اتصل الحسن بتلاميذ أبيه وعمل علي تجديد الصلة القديمة بينهم ، ووجد اقبالا كبيرا وتجاوبا لا محدودا من السودانيين معه حتي إن ابن إدريس الرباطي ليقول وهو يصف أنصار السيد الحسن ومريديه : (ثم إن الاستاذ الموما اليه - أي محمد الحسن الميرغني - مر إلي حد سنار ومعه جموع من الخلفاء والاخوان ينوفون عن الحصر ، فأحيا الطريقة واشادها وأقام عمادها وهرعت الخلق لرؤيته وأخذ الطريقة عليه من كل الجهات حتي انه اذا سافر تتبعه نحو السبعين والثمانين راية ، كل راية لخليفة من الخلفاء وتتبعها اناس كثيرون (٢٨) ، ولا بأس أن نقول إن السيد الحسن قد قدم مهودات للطريقة تعد أكبر وأجل من تلك التي بدأها أبوه ، وإن كان السيد محمد عثمان (الختم) قد وضع لبنة البناء الأولي بصرح الختمية الضخم ، فإن الحسن ابو جلابية (٢٩) - كما يعرف في السودان - هو من أتم هذا البناء فأحسن اكماله ، وهو من وصل الشوط الذي خطي أولي خطواته السيد محمد عثمان الختم فاتبعه السيد الحسن أشواطاً أخرى.

توفي السيد الحسن الميرغني في ٢٣ نوفمبر ١٨٦٩ (٢٠) وخلفه ابنه السيد محمد عثمان - المشهور بالأقرب - والذي ولد في ٤ مارس ١٨٤٨ م (٢١) واهه هي احدي حفيدات الشيخ خوجلي ، ورغمما عن وجود اخ اكبر للسيد محمد عثمان الثاني هو السيد أحمد بن السيد محمد الحسن المولود ١٨٤٦ إلا أن محمد عثمان خلف من أبيه الذي كان يعتقد دائما أن ابنه محمد عثمان متبع لخطوات محمد عثمان الكبير ويمشي علي منواله ، وقد واجه محمد عثمان الثاني مشكلات عديدة وصعوبات بالغة بعد موت والده ، أولي هذه الصعوبات هو قطع الحكومة للمعونات التي كانت تقدمها للعائلات الدينية بسبب تدني الأوضاع الاقتصادية في السودان في تلك الفترة (٣٢).

يعتقد (فول) أن هناك عدداً من الشخصيات من أسرة المراغنة التي تعيش خارج السودان ، قد لعبت أدواراً نشطة في متابعة شؤون الختمية داخل السودان ، أحد هذه الشخصيات هو السيد محمد سرالختم الثاني (ت ١٩١٧ م) رئيس فرع الطريقة بمصر وابن السيد محمد سرالختم ابن السيد محمد عثمان الختم قام محمد سرالختم الثاني الذي يعرف عادة بمحمد الميرغني للتفريق بينه وبين أبيه الذي يحمل نفس اسمه ، بإجازة عدد من الخلفاء في مناطق السكوت والمحس والشايقية ، ومن هؤلاء الذين شاركوا في تسيير أمور الطريقة وأدارتها أيضا السيد بكري بن السيد جعفر (٢٣) بن

(٢٨) ابن إدريس الرباطي ، أحمد : الابانة لنورية ص ١٣٦
 (٢٩) هناك رأي طريق حول تسميته بأبي جلابية هو أنه لم يكن يلبس غير الجلاب أو نوع خاص من الجلابيب لايعرفه السودانيين الذين كانوا يلبسون الثوب والجلباب القصير (العراقي) أو لأن جلابيه كان يصدر نورا في الظلام علي مايروي أيضا (مقابلة مع الخليفة محمد نور البدوي).
 (٣٠) ابوسليم : تحقيق الابانة ص ٢٤٧
 (٣١) نفسه : نفس الصفحة

(٣٢) Ali Salih Karrar , The Sufi brother P. P.89, 90
 (٢٣) كان السيد جعفر بن السيد محمد عثمان (الختم) قد زار السودان في وقت سابق في ١٢٧٥ هـ وقضي نحو من عامين حيث التقى باخيه السيد محمد الحسن الميرغني ، ثم غفل راجعا الي الحجاز ، وتوفي بمكة (راجع : الابانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية ص ١٢٧)

محمد عثمان (الختم) الذي حضر الي السودان عقب وفاة السيد الحسن لمساعدة ابناء عمومته ولقد تزوج من السيدة فاطمة بنت السيد الحسن ، وأسهم بصورة كبيرة في تحمل جزءاً وافراً من الأعباء العسكرية والدينية الخاصة بالطريقة أثناء فترة الثورة المهدية .

وأخيراً هناك السيد عبدالله المحجوب أخ محمد بسر الختم الثاني وزوج نفيسة بت السيد الحسن والذي قدم من الحجاز إلي السودان حيث مكث فيه الي وفاته في ١٩١٢م ودفن بمقابر الأسرة بالخرطوم بحري (٢٤).

لقد قاد السيد محمد عثمان الأقرب النزاع الذي دار بين الختمية والأنصار ، وعاونه في ذلك السيد بكري بن السيد جعفر ، إن الصراع الذي نشأ بين الطائفتين كان أساسه عدم اقتناع الختمية بمهدية محمد أحمد بن عبدالله بل كانوا يرونه متغولاً عليها ، مدعياً لها ويبدو أنهم كانوا يتوقعون ظهور المهدي علي نحو آخر ، فلقد ربطوا المهدية بالختمية ، وجعلوا للمهدي مرتبة معينة ترددت في ادبياتهم كثيراً وذكرها محمد عثمان (الختم) أكثر من مرة أضف الي ذلك أن المهدي لم يقدر الزعامة الختمية حق قدرها فلقد أراد لبيت الميرغني أن ينوب كغيره من الناس العاديين في المجتمع المهدي وأن يتبعوا عثمان دقنة الذي لم يكن مقبولا لديهم البتة بل كان مرفوضاً حتي بين أتباع المهدية في شرق السودان ، وكان لدي الختمية أكثر من سبب وجيه يرفضون فيه الإنضمام لجماعة يقودها عثمان ولعل أبرز هذه الأسباب أن عثمان دقنة يدين بالولاء للمجاذيب هو وأسرته ، والمجاذيب علي خلاف قديم مع الختمية ، ولقد ذكر صاحب الإبانة أن تلاميذ الشيخ المجنوب قد فعلوا أموراً لاتليق مع محمد عثمان (الختم) ثم ذكر اقبالهم علي مالاة ومناصرة الحركة المهدية فقال : (حتي ظهرت هذه لفتنة الشنيعة - يقصد الشنيعة - والبلية الابتداعية - يريد بذلك المهدية - فيمجرد ظهورها تصدروا لها - أي المجاذيب - وقابوا زمامها وقاموا فيها بأعظم الهمة وصاروا لها قادة وائمة وأهلكوا العبادة وخرّبوا البلاد وأظهروا في الأرض الفساد فضلوا واضلوا فلسط الله عليهم الحكومة المصرية فخربت ديارهم ومحت أثارهم بسواكن فخسروا الدين والأخرة) (٢٥) .

قاد محمد عثمان الميرغني الأصغر مقاومة شرسة ضد المهدية وأشتبك معها في عدة معارك من بينها واقعة الجمام في فبراير ١٨٨٤ ، وواقعة الفقيه عيسي وغيرهما ، ثم أزمع السيد محمد عثمان

Ali Salih Karrar : The Sufi brother P. P. 88 - 89 (٢٤)

(٢٥) ابن ادريس الرباطي : الابانة النورية ط دار الجيل صفحات ١٠٩ ، ١١٠

الخروج من الختمية فتخرج منها في ٣٠ يونيو ١٨٨٤ قاصداً مصر فوصل إليها عن طريق مصوع ، ثم اقام في مصر بضعة أيام توفي بعدها في يوم السبت ١٠ ربيع الآخر ١٣٠٣ هـ ودفن في باب الزير (٣٦).

مشيخة الختمية بعد وفاة محمد عثمان (الأقرب) :

خرج السيد محمد عثمان (الأقرب) قبل وفاته قاصداً مصر - كما ذكرنا - ، وكان معه في هذه الرحلة ابنه السيد علي الذي بلغ بسواكن ومكث بها حيناً من الدهر واختلف فيها الي مسجد قديم انشأه جده السيد محمد عثمان (الختم) عام ١٢٣٠ هـ هو مسجد (الأنوار) (٣٧). ثم ظهر اتجاه لدي أسيرة الميرغني بالهجرة الي مصر ولقد رحبت الحكومة بذلك وأبدت استعدادها للعناية بهم وتكفل نفقات عيشهم ثم أن وجودهم في مصر يجعلهم تحت ملاحظة ورقابة رجال المخابرات وأخيراً سافر السيد علي وحده بينما بقيت أسرته في بسواكن (٣٨). أما بقية العائلة الميرغنية فجزء منها كان في أم درمان تحت طائلة المهدية ، وهم أبناء السيد بكري السيد جعفر والسيد الحسن والسيدة عائشة وكانت معهم والدتهم السيدة فاطمة الأولى بنت السيد محمد الحسن (٣٩) كما وضحنا في غير هذا المقام .

لقد ظل السيد أحمد بن السيد محمد عثمان (الأقرب) في أم درمان ايضاً وبقي الوضع علي ما هو عليه حتي مجيء الفتح الانجليزي المصري وزوال دولة المهدية ، التي حدث من نفوذ الختمية وشردت قياداتهم وأجبرت خلفائهم علي المشاركة قصراً في جيوشها ، لذلك كانت المهدية نقمة علي الختمية بينما عد مجيء الانجليز الي السودان هي النعمة التي مهدت الطريق من جديد للختمية لبناء طريقته واستعادة نفوذها وتجديد مجدها الأقل أيام حكم الأنصار.

أما إذا عدنا إلي مسألة شياخة الختمية وقضية الزعامة فيها فإننا نقف أمام شخصين اثنين يليهما هذا الأمر ، أولاهما : هو السيد أحمد بن السيد محمد عثمان الأقرب ، والثاني : هو السيد علي بن السيد محمد عثمان ايضاً وهو أخ أصغر غير شقيق للسيد أحمد . جده لأبيه هو السيد الحسن بن محمد عثمان (الختم) وأمه أمنة بنت النور من قبيلة الأنقرياب فرع من العبدلاب ، وقد ماتت بسواكن وعمره نحو تسع سنين ، وللسيد علي شقيقه واحدة هي السيدة نفيسة (٤٠).

(٣٦) نفسه صفحات ١١٢ ، ١١٣

(٣٧) ابوسليم : بحوث في تاريخ السودان ص ١٦٣

(٣٨) ابوسليم : بحوث في تاريخ السودان صفحات ١٦٣ ، ١٦٤

(٣٩) نفسه : ص ١٦٢

ايضاً أنظر : (الفصل الثالث من هذه الدراسة كلامنا عن الختمية والحكم الثنائي في المبحث الأول من الفصل

(٤٠) ابوسليم : بحوث في تاريخ السودان ص ١٦٠

بالنسبة لأخيه السيد أحمد فهو أحمد بن محمد عثمان الأقرب أمه خديجة بن عبدالله من أسرة أرترية مسلمة (٤١) .

لقد قضى الأخوان أحمد وعلي جزءاً من طفولتهما وشبابهما منفصلين عن بعضهما ، فالسيد أحمد كان قابعا في أم درمان تحت ملاحظة الدولة المهدية ، في الوقت الذي كان فيه السيد علي يعيش في مصر (٤٢) وفي رعاية عمه محمد سرالختم الميرغني ، وكانت الحكومة الانجليزية تقف من ورائه وتقدم له ولأفراد أسرته في سواكن ولبعض خلفاء الطريقة العون والدعم اللازمين أعترافا بمجهودات المراغنة المقدرة في مواجهة المهدية وتعويضاً لهم عن مافقنوه من أراضي وممتلكات (٤٣) وبذلك لم يتيسر لقاء بين السيد أحمد وأخيه السيد علي إلا بعد الفتح حيث أجمعا في كسلا وعاشا لمدة ثلاث سنوات معا (٤٤) .

إن ابتعاد الأخوين عن بعضهما لفترة طويلة من الزمن وموقف الطريقة الختمية الجديد بعد الفتح ، وأختلاف طبائع البشر ، كل هذا الأشياء أوجدت نوعاً من الخلاف بين الأخوين تحول بعد ذلك الى نزاع (٤٥) وأساس الخلاف كما يظن الدكتور ابوسليم قائم حول النفوذ والمكانة وهو أمر عادة مايقع في الطرق (٤٦) ، جاء السيد علي الى الخرطوم حيث السلطة السياسية ومكث السيد أحمد في كسلا واستقر الأمر علي هذا الحال في تقاسم النفوذ والسيادة (٤٧) . ويبدو أن المراغنة قد اتفقوا ضمناً علي تقسيم جهوي لمناطق نفوذهم وصورة هذا التقسيم كما يظهر كالآتي :

- السيد أحمد : كسلا ، القضارف ، والقلايات ، والهدنوة والشكرية ومقره كسلا .
- السيد علي : بربر ، ودينقلا ، وحلفا ، والخرطوم ، وكردفان ومقره الخرطوم بحري .
- السيدة مريم الميرغنية : جبال البحر الأحمر ومقرها سنكات
- السيد جعفر البكري والسيدة علوية : ارتريا (٤٨) ولظروف سياسية وعملية ظل السيد علي بما توفر له من امكانات ومواهب وأحوال مواتية يعتبر دائماً الرأس والزعيم والممثل الأوحـد لبيت المـراغنة - وقد اشرنا إلي هذا التقسيم من قبل .
- لقد كان السيد علي زعيماً بحق فلقد أنعم الله عليه بصفات القائد الممتاز الذي يستطيع أن يبحر

- (٤١) السيد أحمد بن السيد محمد عثمان الميرغني : مقابلة عن (العلاقة بين أسرة السيد أحمد والسيد علي الميرغني ومواقف أسرة السيد محمد عثمان الدينية والسياسية في الطريقة الختمية) بمنزله بشمبات جوار كلية الزراعة جامعة الخرطوم يوم ١٩/١٠/١٩٩٦ م
- (٤٢) السيد أحمد بن محمد عثمان الميرغني : (مقابلة)
- (٤٣) ابوسليم : مصدر سابق ص ١٦٤
- (٤٤) السيد أحمد بن محمد عثمان (مقابلة)
- (٤٥) السيد أحمد الميرغني : (مقابلة)
- (٤٦) ابوسليم : مصدر سابق ص ١٧٤
- (٤٧) السيد أحمد بن محمد عثمان الميرغني (مقابلة)
- (٤٨) ابوسليم : مصدر سابق صفحات ١٧٢ ، ١٧٣

بسيفنته إلي بر الأمان ، قال عنه (سير قاوين بل) الذي كان نائباً لآخر سكرتير إداري بريطاني لحكومة السودان ، يصف سماته الخلقية : أنه كان فكهاً خفيف الظل وبوداً وأن كانت فيه انطوائية فلا يكاد يبارح داره ، وكان لا يتكلم كثيراً ، وإذا قدر له أن يتكلم فإنه يتكلم في التاريخ وسير الرجال وأحوال الشرق الأوسط الاقتصادية ، يذكر ذلك عن علم وسعة اطلاع ، وهو كثيراً ما يردد المائثات والتعاويد الدينية (٤٩).

والأستاذ حسن نجيلة أيضاً يتكلم عن السيد علي فيقول : (وفيما نحن جلوس أقبل السير السيد علي الميرغني فقام الجميع تحية له واجلالاً وأقبل كل من الحاضرين عليه يقبل يده وجلس إلي جانبي في وقار وهيبة وفيما هو جالس كان أعيان السودان يقبلون عليه وينحنون علي يده يقبلونها ظاهرها وباطنها ويرجونه الرضي عنهم وحسن الدعاء ، وكانوا كذلك يقبلون يد أخيه السيد أحمد ولكني أشهد أنني ما رأيت إيماناً كهذا الذي رأيته مرتسماً علي وجوه هؤلاء الناس بادياً في نظراتهم متجلياً في كل حركاتهم حين اتيناهم مسرعين في خشوع وأجلال يقبلون يد السيد علي وينظرون من طرف كسير نظرة كلها الإيمان و الأجلال ورجاء الرضي وحسن الدعاء ومن هؤلاء الأعيان شباب تلوح عليهم مظاهر القوة والاعتداد بالنفس ومنهم كهول وشيوخ تري علي عوارضهم من الشيب بياضاً في سواد ولكل من هؤلاء الشباب والشيوخ سلطان علي من يدينون له من القبائل والعشائر والسيد علي نحيف قصير القوام دقيق تقاطيع الوجه تنم عيناه ، بيريقهما الشديد عن كثير من الذكاء والدهاء وتطوف ثغره العربي الرقيق الشفاه أبتسامة دائمة تجعل محياه الجذاب دائم الأشرار - ولعله أصغر من رأيت من أعيان السودان جسماً وإن كان أكبرهم مقاما (٥٠) .

ولقد زاره الأستاذ/ أبو الحسن علي الحسني النبوي في عام ١٩٥١م فأعجب به وبأرائه في الدعوة والارشاد وأثر الختمية في المحافظة علي الإتجاه الديني لدي الشباب (٥١) وفي الواقع أن السيد علي له العديد من السمات التي جعلته مؤهلاً أكثر من غيره لقيادة الطريقة الختمية التي دفع بها في وقت لاحق في معترك الحياة السياسية ويبدو أن هذا الأمر كان سبباً في الخلاف بينه وبين أبناء السيد أحمد كما سنوضح في مايلي من قول ، إذا عدنا إلي النزاع الذي جري بين أبناء السيد محمد عثمان (الأقرب) السيد أحمد والسيد علي فيمكننا أن نقول إنه خلاف حول النفوذ

(٤٩) أحمد سليمان : مصدر سابق صفحات ١٨٦ ، ١٨٧

(٥٠) حسن نجيلة : ملامح من المجتمع السوداني ص ١٨٧

(٥١) أبو الحسن علي الحسني النبوي : مذكرات سائح في الشرق العربي ط اولي (مكتبة وهبة ١٩٥٤م)ص

١٩٩ ، الطابعون مطبعة الرسالة

والممتلكات العينية وبعض الخلافات المالية كما ذكرنا آنفاً ويمكننا أن نجعل نقاط الخلاف في ما يلي :

أولاً : الأراضي :

تقدم السيد أحمد بعد الفتح نيابة عن المراغنة بطلب للحكومة بصدد بعض الأراضي بكسلا والتي اعتبرها ملكاً للبيت المرغني ، وفي عام ١٩٠٤م عقدت اتفاقية حول هذه الأرض ، فحصل نتيجة لهذه الاتفاقية علي قطعة أرض كبيرة محدودة بحدود في طريق المدينة باتجاه القاش ، وعلي قطعة أرض كبيرة محدودة بحدود في طريق المدينة باتجاه القاش ، وعلي قطعة أخرى شمال كسلا القديمة ورفض طلبه الخاص بإرض (قلسا) ولكن سمح له بأخذ الحجر منها مجاناً ، وكان إعطاء الأرض لهم وفقاً لشروط تضمن مصالح الدولة العامة فيها كضمان حق شق طريق وغير ذلك ، وفي عام ١٩٠٨م عدلت الاتفاقية بفرض توسيع سوق كسلا ، وحتى عام ١٩٠٩م لم يتمكن المراغنة من استغلال الأرض والاستفادة منها بسبب المنازعة بين السيد علي والسيد أحمد ولذلك هددت الحكومة بالغاء الاتفاقية إذا لم يكف عن المنازعة وأستثمار الأرض ، ولكن الخلافات ظلت قائمة يزيدا حدة تدخلات الخلفاء وحركتهم بين الأخوين حتي وصلت نزوتها في عام ١٩١٦م و١٩١٧م مما دفع الحكومة الي التدخل وتقسيم الأرض بمعرفتها ، وإضافة إلي هذه الأرض كانت هناك أملاك للأخوين في كسلا وبعض الأراضي في الحلقة وهي أيضاً كانت سبباً في خلاف دائم حولها (٥٢).

وفي الخرطوم دار نزاع أيضاً حول أرض ومباني فلقد كان للسيد محمد عثمان الثاني جنيينة مساحتها ٧٥ فدان بالخرطوم بحري وقد أخذت الحكومة هذه القطعة للمنفعة العامة وعرضت تعويضاً عينيّاً أو مادياً فاختر السيد علي تبعا لنصح السيد أحمد التعويض العيني وحصولا علي ستة أفدنة في مدينة الخرطوم وهي التي بنيت عليها سراي السيد علي ، وقد اتفق الأخوان علي بناء السراي مناصفة (٥٣)

وقد بنيت وفقا لها الاتفاق ودفع كل طرف حصته كاملة ، أما بسبب تفجر الخلاف حوله فهو قيام السيد علي بتسجيل السراي باسمه مع أغفال حق أخوته في الأرض وحق أخيه في الأرض وفي البناء ، وفي وقت لاحق بعد وفاة السيد أحمد تقدم ابنه السيد محمد عثمان (شمبات) بشكوي ضد

(٥٢) ابوسليم : بحوث في تاريخ السودان صفحات ١٧٤ ، ١٧٥

(٥٣) ابوسليم : المصدر السابق ص ١٧٥

عمة يطالبه فيها بحقه في السراي ، ولقد حسم الخلاف بينهما نتيجة لوساطات أدت الي صلح وأتفاق ، وخلاصة الإتفاق أن يدفع السيد علي للسيد محمد عثمان (شمبات) تعويض مالي عن حقه في السراي ، أما نصيب أبناء السيد أحمد الباقيين - وهما السيد محمد الحسن والسيدة فاطمة - لفظل في حوزة السيد علي ولأزال الخلاف قائم إلي يومنا هذا حول هذه القضية بين أبناء السيد محمد الحسن (كسلا) وهم السيد يسن والسيد طه والسيد عبدالله وبين أبناء السيد علي السيد محمد عثمان والسيد احمد - أما السيدة فاطمة بنت السيد أحمد بن محمد عثمان الثاني فليس لها نسل لعدم زواجها (٥٤).

ثنيا : الاعانات المالية :

كانت اعانات أسرة محمد عثمان الثاني تصرف للسيد علي منذ أيام المهدي علي أساس أنه القائم علي أمر الأسرة وكان السيد أحمد في ام درمان أثناء ذلك ، وبعد الفتح ظلت الإعانة تصرف للسيد علي كالعادة وفي عام ١٩٠٧م طالبه السيد أحمد بتقسيمها فوعد بذلك ولم يف بما وعد ، بالإضافة إلي ذلك كان هناك نزاع بين الأخوين حول دخل قبة الحسن بكسلا ، وقبة المحجوب ببجزي وظل كل منهما يتضرر من الآخر علي أساس أنه لا يحصل علي نصيبه من الدخل . . السيد علي يطالب بنصيبه من دخل قبة الحسن وأحمد يطالب بنصيبه من قبة المحجوب (٥٥).

ثالثا : قبة السيد الحسن بكسلا :

وقد قام ببناءها السيد محمد عثمان الأقرب وصارت مزاراً ومقصداً للمريدين والاتباع ، وقد هدمها الأنصار أثناء غاراتهم علي كسلا (٥٦) وفي عام ١٩١٣ طلب السيد علي الأذن من الحكومة إعادة البناء علي نفقته ونفقة السيد أحمد بالمناصفة ، وقد وافق السيد أحمد وطلب من أخيه أن يحضر بنفسه الي كسلا أو يقيم وكيلًا وافق السيد علي وبلغ اخاه أنه سيحضر لذلك بعد الخريف وفي عام ١٩٢٢م ولكنه لم يحضر لمرضه (٥٧) وقد تولي السيد أحمد بناء الجزء الأكبر منها وحده ، أما الجزء المتبقي وهو السقف فلم يكتمل حتي الآن (٥٨). ولقد جاء في كتاب السودان تحت إدارة ونجت ، أن الحكومة الانجليزية أعادت بناء المسجد (٥٩)

(٥٤) السيد احمد بن محمد عثمان الميرغني : (مقابلة)

(٥٥) ابوسليم : مصدر ابق ص ١٧٦

(٥٦) نعوم شقير : مصدر سابق ص ١٢٠٧

(٥٧) ابوسليم : مصدر سابق صفحات ١٧٦ ، ١٧٧

(٥٨) السيد أحمد محمد عثمان الميرغني (مقابلة)

(٥٩) Gabriel Warburg : The Sudan under Wingate frank cass and God.Ltd

(1971) P. 99

(٦٠) السيد أحمد بن محمد عثمان الميرغني : (مقابلة)

وهذا الكلام ليس صحيحا ، فلا يزال المسجد كما هو عليه منذ أن دمرته قوات المهديّة (٦٠).

أخيرا : النفوذ علي القبائل ، الخلفاء ، والمناسبات الدينية:

نشأ نزاع في قبيلة الحلانقة قسمها الي شطرين وسبب هذا النزاع هو وجود قوي داخل القبيلة مؤيدة للسيد علي وأخري مناهضة له وتقف مع السيد أحمد وكل جماعة تريد تولية شخص بعينه لزعماء القبيلة (٦١) كذلك لعب الخلفاء دورا أساسيا وهاما في هذه الصراعات ، وكانوا في كثير من الأحيان يحركون النزاع داخل الأسرة ، وقد عمل بعض الخلفاء من أقرباء السيد علي الي أحداث خلاف بينه وبين ابن أخيه السيد محمد عثمان (شمبات) ، الذي أصبح نفوذه في إزدياد بعد وفاة أبيه بمدة وعند ظهور حركة التحرر الوطني والأحزاب السياسية (٦٢) كانت تقام وبشكل سنوي حوليه السيد محمد عثمان (الختم) ومن المفترض أن يقوم بذلك كل زعيم في مركزه ، ولكن بسبب وجود السيد علي في كسلا مع بداية مجيئه لي السودان وبحكم نفوذه هناك فقد ظل أتباعه ينظمون حوليه للختم سنويا وفي عام ١٩١٩ رد السيد أحمد عل ذلك بأن طلب اقامة حولية باسمه للسيد الختم في الخرطوم بحري ، وكان السيد علي يحتفل في الخرطوم وقد اعترض علي طلب السيد أحمد وفي النهاية حسم الأمر بأن يمتنع السيد أحمد عن الحولية في منطقة الخرطوم بحري مقابل امتناع السيد علي عن الاحتفال في كسلا (٦٣) إن الخلافات بين السيد أحمد والسيد علي لم تنته إلا بعد وفاة السيد أحمد في عام ١٩٢٨ م ، ولقد حاول السيد علي أن يتقرب الي ابناء أخيه وهما السيد محمد عثمان (شمبات) والسيد محمد الحسن (كسلا) ولأن السيد علي كان مهتما بالسياسة منغمسا فيها فقد سعي الي اشراك ابناء أخيه معه ، أما السيد محمد الحسن فلقد كان راغبا عن الأضواء يمتت السياسة ومايتصل بها ولم يشترك في عمل سياسي سوى مرة واحدة فقط عندما كلفه السيد علي بجمع الناخبين في أول انتخابات برلمانية في السودان ، ويروي عنه أنه ظل يعد هذا الأمر ذنبا يستغفر الله منه ولايعود اليه إلي أن توفي في عام ١٩٨٧ م.

بالنسبة للسيد محمد عثمان (شمبات) فلقد اشترك مع عمه السيد علي في التآليف بين الأحزاب الاتحادية إلا أن خلافاً حول بعض الاتجاهات السياسية حدث بينهما ، نفّض بعدها السيد محمد عثمان يده عن العمل السياسي واعتكف في منزله بعيدا عن أجواء العمل العام حتي وفاته في عام ١٩٦٨ (٦٤).

(٦١) ابوسليم : مصدر سابق ص ١٧٧

(٦٢) السيد أحمد بن محمد عثمان الميرغني : (مقابلة)

(٦٣) ابوسليم : مصدر سابق ص ١٧٨

(٦٤) السيد أحمد محمد عثمان الميرغني : (مقابلة)

من الملاحظ أيضا عدم اتصال أبناء السيد أحمد بالحكومة من قريب أو بعيد ، بل ولقد تعرضا لغضب الحكام بعد الحرب العالمية الثانية وسبب ذلك أن السيدين محمد عثمان ومحمد الحسن قاما بتقديم خدمات كبيرة لمواطني مدينة كسلا في أثناء فترة الاحتلال الإيطالي للمدينة وبعد انتهاء احتلال الإيطاليين ، أرادت الحكومة الانجليزية تقديم أنواط ونياشين وتقديراً لما بذلاه من مجهودات ، ولكن السيدين رفضا هذا الأمر ، لأنهما اعتبرا ما أدياه من جهد وما قدماه من معونة كان المقصود به المواطنين وليس أحداً آخر ، ثم أن هذه الأوسمة والنياشين كانت تحمل شعار الدولة الإنجليزية وهي الصليبان ، مما يتنافى مع عقيدة المسلمين ، وقد أغضب هذا الرفض الحكومة وجعلها تنزع عدداً من الأراضي الخاصة بالسيدين في كسلا (٦٥).

من الواضح ومن خلال ما ذكرناه عن ابني السيد أحمد نجد أنهما يتمتعان بقدر كبير من التورع والزهد والبعد عن الظهور والميل إلى العزلة والاهتمام بالنواحي الدينية ، وعدم الإنجراف وراء الخصومة والنزاع وكان من الممكن جداً أن يعمل علي أيجاد تيار مناوئ لعمهما السيد علي ولكنهما أثرا الصمت والانزواء لباعث أيماني صرف.

يجدر بنا كذلك أن نشير إلى أهمية القيادات النسوية عند الختمية فالسيدات من المراغنة مارسن نفس الأنوار الروحية والدينية التي أداها الرجال من نفس البيت.

ولقد أدرك (غريون) من قبل أثر هؤلاء النساء الفضليات علي المجتمعات التي يسود فيها الولاء لبيت الميرغني ، فطلب من السيد محمد عثمان (الأقرب) أن يبقي علي السيدات المراغنة في منطقة شندي لأن ذلك سيسهم في أيجاد قدر من الهدوء والاستقرار علي المنطقة (٦٦) ومن أبرز سيدات المراغنة اللاتي مارسن مهاماً روحية السيدة علوية والسيدة مريم الميرغنية بنات السيد هاشم بن محمد عثمان (الختم).

(٦٥) نفسه

(٦٦) ابوسليم : مصدر سابق ص ١٦٢

خاتمة البحث

- هذا تلخيص لأهم النتائج والحقائق التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة :
- ١/ ينتمي السيد محمد عثمان الميرغني (الختم) المولود بقرية السلامة قرب الطائف في ١٢٠٨هـ / ٩٣ - ١٧٩٤م والمتوفي في ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م الي أسرة دينية عريقة اشتهرت بالصلاح و التقوي وسعة العلم ، وعرف عنها اتصالها ببيت النبوة ، عبر سلسلة نسب جاءت في أدبيات المرافنة ، ونوه الي صحتها عدد من أكابر العلماء في ذلك العهد ، ولقد تتلمذ محمد عثمان (الختم) علي يد عدد من أقربائه وعلي آخرين أيضا أخذ عنهم علمي الظاهر والباطن.
 - ٢- اشتهر السيد عبدالله الميرغني (المحجوب) المتوفي في سنة ١٧٥٢م وهو الجد المباشر لمحمد عثمان الختم ، بالعلم والصلاح وكثرة المؤلفات.
 - ٣/ اتصل السيد محمد عثمان الميرغني بالسيد أحمد بن إدريس (ت ١٨٣٧م) والذي أمره بالتوجه إلي السودان لنشر تعاليمه وبث أفكاره ، ولقد زار الميرغني السودان ثلاث مرات لقي خلالها مكاسب كبيرة من جهة الاتباع والانصار وحقق نفوذا واسعا في شمال وشرق السودان حيث أسس قريته (السنية) في التاكة والتي أضحت مركزاً هاماً للدعوة الختمية .
 - ٤/ واجه الميرغني بعض المضايقات خلال مسيرته الدعوية في السودان ، فلقد تعرض لفضب الحكام والزعماء السياسيين في مناطق شندي وكردفان وسنار ، وقد أسهمت هذه المضايقات في الحد من نفوذه شيئاً ما في بعض أجزاء تلك البقاع ، أيضا لقي الميرغني مواجهة ومخالفة من قبل أنصار الطريقة المجنوبية .
 - ٥/ إن من أبرز الأسباب التي قادت محمد عثمان الميرغني الي نجاحه الباهر في إقليم السودان هو ما تمتع به من امكانيات ومواهب ومزايا ، فلقد كان الميرغني عالماً شريفاً من أسرة دينية معروفة مما أهله لكسب ثقة العوام والخواص من السودانيين .
 - ٦/ عين السيد محمد عثمان أبنه السيد محمد الحسن - وهو من أم سودانية - ممثلاً عنه ، وناذبا له في السودان وحضه علي التعاون مع الحكام والاتصال بهم ، وأن لا يكون خاله معهم كحال هو ، فقد كان الختم متشبها بابن إيس لا يقرب الحكام ولا يقف علي بابهم .

- ٧/ أستطاع السيد الحسن أن يكمل المشوار الذي بدأه أبوه ، فثبت من أركان الطريقة ووطد نفوذها ، وجمع الناس من حولها ولقد أتيح له ذلك بسبب مواهبه الفذة في انشاء علاقات واسعة علي إمتداد السودان وبفضل زيجاته من أسر سودانية معروفة أيضا كان الحسن متسامحا جدا مع أهل الطرق الشيء الذي أورثه قبولا وحبا من كافة الطوائف.
- ٨/ خلف السيد الحسن ابنه السيد محمد عثمان الأقرب والذي تعاون مع التركية السابقة للقضاء علي الثورة المهدية ، ولقد كان موقف الختمية من المهدية موقف الخصم والعدو ، وأصل هذا العداء يعود الي ثوابت فكرية وأصول عقدية تقرر ان دعوة المهدية دعوة باطلة ولا تستند الي الشريعة الخالصة في هديها .
- ٩/ اهتمت الحكومات المتعاقبة بالختمية ، ومرد هذا الاهتمام يرجع الي السطوة والنفوذ اللذين وجدا عند المراغنة تجاه قطاعات من الجماهير السودانية .
- ١٠/ تعاون السيد علي الميرغني خليفة السيد محمد عثمان الثاني تعاوناً مثمراً مع سلطة الحكم الثنائي ، ولقي جراء ذلك الدعم والتأييد من قبل الحكومة ، وأستمر هذا الحال الي حوالي ١٩٤٠م حيث تغيرت بعدها سياسة السيد علي تجاه الانجليز وأظهر ميلاً واضحاً للتيار الوطني المناهض لبريط مصير السودان التحرري بمصر .
- ١١/ أعتبر السيد علي راساً روحياً وراعياً للأحزاب الاتحادية التي أشتركت في تكوين المنظومة السياسية قبل الاستقلال .
- ١٢/ نشأ نزاع داخل بيت المراغنة بين عائلتي السيد علي والسيد أحمد ، ومرد النزاع هو الخلاف حول النفوذ والممتلكات .
- ١٣/ ظل السيد أحمد الرأس القائد للختمية في منطقة شرق السودان بينما كان السيد علي يسيطر علي مناطق وجود الختمية في شمال ووسط وغرب السودان ، ولقد برزت من بيت المراغنة وفي كل الأوقات وحتى هذا العصر سيدات مارسن ادواراً روحية ودينية في حق الطائفة الختمية.
- ١٤/ تنور معتقدات المراغنة وتعاليمهم في فلك المبادئ العامة التي يدين بها أغلب المتصوفة في العالم الإسلامي ، فيكثر عندهم الاهتمام بالرياضات من خلوة وجوع واقبال علي العبادة والذكر

وتدرج في سلم النوق والتمام الانساني ، وماسوي ذلك مما يتوفر لدي أهل التصوف من نظم وسبل .
١٥/ للختمية العديد من الأدبيات التي قام بتأليفها مشائخهم من بيت المراغنة ، وقد ألف السيد محمد عثمان (الختم) العديد من المصنفات التي تشرح أصول الطريقة وتوضح طرائق التعبد و الذكر عند الختمية .

١٦/ ليست للختمية - في أصولها القديمة - أية صلة فكرية بالتشيع ولم يظهر الاتجاه الذي ربط بين عقائد الختمية ومبادئهم العامة وبين معتنقات الشيعة إلا مؤخرا وفي وقت حديث.

ملحق رقم (١)

إجازة السيد محمد عثمان الختم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم به الإعانة بدءاً وختماً وصلي الله علي سيدنا محمد ذاتاً ووصفاً واسماً .
الحمد لله الذي جعل بسندنا متصلاً بمصطفاه ، فعلو كل اسناد بحسب مايكون منتهاه ، والشكر
لمن جعل الطرق الي حضرته لاتعد والصلاة والسلام علي من هو لنا في أمورنا السند وعلي اله
وصحبه ومن في الطريق جد.

وبعد، فيقول المكني بهذه الكنية من المصطفى أبو محمد وعبدالله وزينب ومحمد جعفر ، ومحمد
عثمان الميرغني المكي الختم أوردته الله مورد الصفا هذه اجازة كبري عامة في طريقتي الباطنة و
الظاهرة الفخري فاقول وبالله ورسوله لما كان الاسناد للدين من أعظم أركانه وأتصال السند
بالمصطفى عليه السلام مما يشيد لبنائه أحب هذا العبد أن يذكر صورة اجازة تكون لطريقة حيازة
وهذا سند طريق القوم وبعض علم الظاهر ، وأما الكثير منه فتركته وسأذكر في موضع آخر ناير ،
فاقول ان اعلا أسانيدنا هو سند شيخ أرشادي سيدي وعمدتي وملاذي العارف بالله قطب حيطة
الولاية غوث دائرة الخصوصية الحال منها درجة الغاية أمام تربيتي ابا محمد الفتى النفيس مولانا
الشريف المغبي احمد بن ادريس أدام الله علي ولي جميع أهلي وعليه عمله كثير التهليل وقد لقنته
وأعطاني عدده بفضل الكبير ، وكذا أخذت عنه الاسم المفرد اسم الذات وكذا أسند عنه اسم الهوية
بأثبات وايضا الحي القيوم وأجازتي اجازة عامة بلسان في كل الأنكار والعلوم وطلب مني بعض
الأخوان بعد بعض الاسفار شيئاً من اسانيده عالية المقدار فارسلت اليه بمكتوب فارسل الي
بمرسوم وذكر فيه كم من سند محبوب وصورة مارسمه بعد كلام جميل قد اخذنا الطريق عن غوث
وقته وامام عصره الشيخ الجليل سيدنا ومولانا عبدالوهاب التازي ثم الفاسي داراً ومنشأً وهو أخذ
عن غوث وقته وإمام عصره الشريف الجليل الحسن بن سيدنا ومولانا عبدالعزيز الملقب بالدباغ الفاسي
داراً ومنشأً وهو أخذ عن شيخ الشيوخ الفرد الجامع سيدنا ابي العباس أحمد الخضر عليه السلام
وهو الذي لقنه الذكر مشافهة بلا واسطة فخدم الذكر الذي لقنه له خمس سنين ففتح الله عليه والحقه
بمن عنده والخضر تولاه الله بلا واسطة مشيخة بل عناية من الله به اتيه رحمة من عنده وعلمه من

لذنه علما كما صرح القرآن ، وقال ايضا رضي الله عنه ووجه اخر علا من هذا فأنا اخذنا الطريق عن شيخنا عبدالوهاب المذكور وهو اخذ عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فاني سمعت رضي الله عنه يقول بسمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول مارأيت أنفع منه لا إله إلا الله محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهذا هو عين الأخذ عن الرسول بعينه والسند اذا كان عاليا بقله الوسايط كان اكمل وافضل عند اصحاب الاسناد وهناك طرف اخر كانت في الابتداء مستطيله بكثرة الرجال فطال السند فيها فتركناها لوجود ماهو اقرب منها واخذنا الطريق ايضا عن شيخنا المحب الشيخ المجيرري وهو أخذ عن قطب الجن الشيخ محمد القفوي وهو أخذ عن سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وبهذا السند عينه أخذنا الحزب السيفي ، واخذنا الطريق أيضا عن شيخنا سيدي أبن القاسم الملقب بالوزير وسنده يتصل بالشاذلي بوسايط كثيرة ، وسند الشاذلي يتصل بسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه تركت ذكر سنده لطوله . انتهى ما وصل الي بخط الاستاذ شيخ تربيتنا العارف الملاذ ، ومن طرقه التي أخذها عن شيخ تربيته القطب سيدي عبدالوهاب الطريقة النقشبندية كما اجازني بذلك سر السر العجائب وأجازني في جميع الانكار والطرق والتلاوة والصلاة علي النبي عليه الصلاة والسلام التي معناها يرق وأقول الحقير أنا ايضا في السابق أسانيد مستطيلة منها السند المنظوم الذي كنا نجيز به سابقا وغيره اسانيد جليلة تركناها للعلة التي ذكرها ولي نعمتنا الملاذ واقول قد خلفت واجزت عني الضفي الخليل واثق العهد الوفي صديقي وحميمي الصادق ولي محبتي الموافق الخليفة محمد ابن الفقيه محمود واجزت لي طريقتي ومافيه له أهليته من علوم الظاهر البهية كما أجازني من ذكرت وغيرهم في الطريقتين ، ثبتني الله واباه وياكم وجميع أولادي وأصحابي علي النهجين وأوصيه بتقوي الله في كل الانفاس وملازمة ذكره المطهر من الأدناس وان لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته وصلي الله علي سيدنا محمد واله وصحبه بقدر عظمة ذاته .

ملحق رقم (٢)

إجازة السيد علي الميرغني (١)

بسم الله الرحمن الرحيم به الاعانة بدءاً وختماً وصلي الله علي سيدنا محمد ذاتاً ووصفاً واسماً.
الحمد لله الحي القيوم العلي العظيم وحده والصلاة والسلام علي الفاتح الخاتم الذي لانبي ولا رسول بعده.

وبعد فيقول رق مولاه الغني علي ميرغني الراجي من مواهب مولاه فيضه الأعذب الهني إني قد إجزت وخلفت الأخ الأصدق والمحب الأوفق الخليفة حامد أحمد الرفاع وجعلته خليفة في طريقة الاستاذ الأكبر صاحب الأمر السني ختم أهل العرفان الميرغني المكي سيدي السيد محمد عثمان أمدني الله وأياه والمسلمين أجمعين بهواطل أمداداته وبركاته آمين ، وقد أجزته في جميع أذكار الطريقة الختمية الطاهرة النورانية وفي كل ماله فيه أهليه من تلاوة قران وتدرسه وتعلم علم وتدرسه وغير ذلك من وظائف الدين كما أجازني بذلك والدي وشيخي وبركتي سيدي السيد محمد عثمان ميرغني وهو عن والده الاستاذ صاحب الفيض والمنن سيدي السيد محمد الحسن ميرغني وهو عن والده العارف بالله المنان ختم أهل العرفان المذكور انفا جدي السيد محمد عثمان هو عن استاذة القطب الغوث الفرد الجامع والغيب الهطل الهامع العارف بالله النفيس ابي محمد الشريف سيدي السيد أحمد بن ادريس وهو عن استاذة القطب الفرد الجامع والغيب العاطل الهامع الشريف سيدي السيد عبدالعزيز الملقب بالدباغ وهو عن استاذة العبد الكريم علي رب الذي اتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علمه سيدي ابي العباس الخضر عليه السلام وهو عن النبي صلي الله عليه وسلم وعن رب العزة جل جلاله هذا وأوصيه بتقوي الله في جميع الانفاس وملازمة ذكره المطهر من الأذناس وأن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه ويقدر عظمة ذاته امين .

علي ميرغني ١٣٣٧هـ

(١) السودان : دار الوثائق المركزية متنوعات ١٤٠١/٨٦/١هـ

ملحق رقم (٣)

سلسلة نسب السيد محمد عثمان الختم (١)

محمد عثمان بن السيد ابي بكر بن مولانا السيد عبدالله الميرغني المحجوب بن السيد ابراهيم بن السيد حسن بن السيد محمد أمين بن السيد علي ميرغني بن السيد حسن بن السيد ميرخورد بن السيد حيدر بن السيد حسن بن السيد عبدالله بن السيد علي بن السيد حسن بن السيد حيدر بن السيد ميرخورد بن السيد حسن بن السيد بن احمد بن السيد علي بن السيد ابراهيم بن السيد يحيى بن السيد حسن بن السيد بكر بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد اسماعيل بن السيد ميرخورد البخاري بن السيد عمر بن السيد علي بن السيد عثمان بن الامام علي المتقي بن الامام الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن الامام علي الرضا بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وابن الزهراء البتول .

(١) انظر : السيد جعفر بن محمد عثمان الميرغني : لؤلؤة الحسن الساطعة ص ٣٩ - ٤٠

ملحق رقم (٤)

بيعة الامام الختم السيد محمد عثمان الميرغني (١)
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه وسلم.

اللهم اني تبت اليك ورضيت بسيدي السيد محمد عثمان الميرغني شيخاً لي في الدنيا والآخرة
فثبطني اللهم علي محبته وعلي طريقته في الدنيا والآخرة بحق سيدنا محمد بن عبدالله بن عدنان ،
وبحق بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، أياك نعبد
وأياك نستعين ، أهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا
الضالين امين .

(١) الميرغني ، محمد عثمان : راتب الميرغني ص (٤)

ملحق رقم (٥)

كيفية انتقال المقدمات (١)

تغسل أولاً كفعل الجنبية يوم الاربعاء بأمر شيخك وتصلّي ركعتين الأولى بالفاتحة والكافرون ،
والثانية بالفاتحة وسورة النصر ثم تسلم وتقرأ البيعة وكيفيتها :
(اللهم أني تبت اليك ورضيت بسيدي محمد عثمان شيخنا في الدنيا والآخرة ثبتني اللهم علي
صحبتة وطريقته في الدنيا والآخرة بحق سيدنا محمد بن عبدالله بن عدنان وبحق بسم الله الرحمن
الرحيم .

وتقرأ الفاتحة سراً ثم تشرع في التهليل وعدده سبعون ألفاً بالوضوء وتستعمل في مجلسك ذلك
نحو مائة مرة ثم تتم باقي العدد قائماً أو قاعداً بالوضوء ثم فراغك من التهليل تغتسل ايضاً كما تقدم
وتستعمل الاخلاص مائة الف بلا وضوء ايضاً ثم تغتسل ايضاً كما تقدم يوم الاربعاء بعد الصبح
وأستعمل البسملة اثني عشر الف في مجلس واحد مع الطهارة الكاملة ثم بعد تمام المقدمات تمضي
الي شيخك يلقنك الذكر .

(١) الميرغني ، محمد عثمان : راتب الميرغني ص ٥ ، ٦

ملحق رقم (٦)

توجيه من السيد محمد الحسن الي أسرة الحمدتياب (١)

بسم الله الرحمن الرحيم به الإعانة بدءاً وختمنا وصلي الله علي سيدنا محمد ذاتاً ووصفاً واسما
وأن من رقي مولاه الفتي محمد الحسن ميرغني الي حضرة العالم العلامة والخبر الفهامة التقي النقي
الفقيه الأجل الشيخ حمدتو محمد مدني والفاضل الأريب الكامل الأريب الفقيه شيخ ولد ابراهيم
وأولاد الحاج شيخ حمدتو مدني وابي بكر ومحمد الماحي وأولاد أحمد محمد أحمد وابابكر وكامل
الجماعة الحمدتوياب حفظهم الله ورعاهم وفي جميع السوء والمكروه حماهم امين وبعد ترديد
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته والذي تعرفكم به ان اخينا الخليفة حمدتو حضر عندنا واخذ
الطريقة وخلفناه وأجزناه اجازة كبري في جميع أذكار الطريقة وأورادها أستعمالاً وتسليماً لمن
يطلب ورداً خاصاً أو عاماً ومرادناً في جنابكم مراعاته ومساعدته ومحاضرتة ومعاونته كونكم بفضل
الله من اخواننا واحبابنا من سابق الي الآن لكن ليس في مسجدكم راتب ولا مولد ولا شيء من
وظائف الطريقة المخصوصة وقد عينا الخليفة حمدتو للقيام بجميع ذلك وطلبنا منكم مساعدته
ومعاضدته والله يؤيده ويتقبل أعماله ويرفع قدره وذكره.

سنة ١٢٨٣ محمد الحسن الميرغني

(١) السودان : دار الوثائق المركزية متنوعة ١١٥٩/٦٤/١

ملحق رقم (٧)

اجازة السيد عبدالله محجوب الميرغني (١)

(.....) بهما كما خطب بذلك مرة و (نسال) الله الشكر علي هذه المسرة ، وأقول قد (أجزت) وخلفت عن المحب الصفي والخل واثق العهد الوفي صديقي وحميمي الصادق ولي ومحبي الموافق الخليفة محمد ولد عيسي وجعلته خليفة الخلفاء.

وأجزت له في طريقتنا المذكورة في ما فيه له فيه اهلية من علوم الظاهر البهية ، كما أجازني والدي وعمي عن من ذكرتهم وغيره في الطريقتين ثبتتي الله وأياه وأياكم وجميع أصحابي وأحابي علي النهجية وأوصيه بتقوي الله في كل الأنفاس ونكره المطهر من الأبناس وأن لا ينسان من صالح الدعوان في خلواته وجلواته وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه بقدر عظمة ذاته ، أمين عبدالله محجوب ميرغني

(١) أنظر : محمد ابراهيم ابوسليم : بحوث في تاريخ السودان ص ١٤٠ ، ١٤١

ملحق رقم (٨)

خطاب من المهدي الي محمد عثمان بن محمد الحسن الميرغني (١)

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الوالي الكريم ، والصلاة علي سيدنا محمد واله مع التسليم ، وبعد فمن العبد المفتقر الي الله محمد المهدي بن عبدالله الي حبيبه في الله محمد عثمان بن محمد الحسن ميرغني كان له مولاه الغني امين .

أما بعد فجزيل السلام ورحمة الله وبركاته عليكم وعلي من لديكم ثم تعليمكم انه قد تكررت المخاطبات منا الي عباد الله بالدعوة الي الله والانابة الي ماعنده والقيام بأمره والانقياد له والخروج عن النفس والعلاقة المعوقة كل من أخلص لله وكأن أمره لله قد أتصل لدين الله معنا ومن لم يجتمع قام بأمر الله علي قصد اعانتنا وقاس الشدائد لصفاء سريرته في ايثار ماعند الله فهو منا والينا ولو مات علي ذلك فجدير ان يتصل بربه ويتنعم عنده بما لا يوصف من النعيم المقيم ويستريح من شؤم الدنيا وقد كاتبتك خاصة غير مرة رعاية لمقامكم وشفقة عليكم وظناً لخيركم فما رددتم الينا جوبا ولاحضرتم للهجرة ولا حصلت منكم غيره للدين بأعمال حركة في جهتكم وما أدري ما المانع لكم من ذلك مع أنكم أولي بالفرح بنا وأجابتنا ونصرة دين الله من كل أحد فما الذي أخرجكم حتي فاتكم العوام وانتم العارفون ولولو الشرف والمقام ونووا الألباب الذين قال الله فيهم ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات الأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيت وما للظالمين من أنصار ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن امنوا بربكم فامنا وانك من اعظم من يعد ويظن بالصدقة والاخلاص لله في مثل هذا الأمر وما عهدتك انك تتباطي علي قدر هكذا لانك جد عارف بعظمة ما عند الله وخسة الدنيا وما فيها ووجوب الهجرة الي اذ أنه لا يخفي علي من نوبك خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم محي ما أندرس من الدين ومظهر أثار المرسلين ومن المعلوم ان المهدي أختبار لمن يدعي الدين فكل من كان لدين الله الخالص

(١) أنظر : الإمام المهدي : منشورات ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨

صادقا لا يأبى التعبد والانقياد والتواضع لحوز ما عند الله الدائم ، ومن كان باطنه حب الجاه ويحيى اليه من الهدايا والوظيفة عند غير الله مال الي ذلك وتوقف وصرف جماعة من الناس عن الدين الواصل كما كان ذلك دأب القسيسيين والرهبان الذين كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به خوفا من قوات الجاه والوظيفة عند الناس وما يجيء إليهم من الهدايا والقطايف حب متاع الحياة الدنيا وما ذلك عند الله بمخلص ولا يتولي العبد عند لقاء الله قال تعالى ليس بامانيكم ولا مافي أهل الكتاب من يعمل بسوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وقال وما يغني عنه ماله اذا تري الي غير ذلك وانك يا حبيبنا ممن لم يكن دينه علي حرف ان أصابه خير أطمأن به وان أصابته فتنة أنقلب علي وجهه بل أنت ممن يطلب رضا الله ولو تقطعت أربا وأربا وفاتت عنك جميع المطالب النفيسة لا تعلمه من عظمة اله ونعمته وشدة عقابه لمن وقع فيه وكل ذلك انت خبير به وشانك ان تربى من اتاك هكذا فاستعمل ذلك وتبصير عاقبة امرك فأنه لا غناء لك من صلاح نفسك واكتساب ما عند الله وانك من اعظم من يقبل النصيح تواضعا لله الذي خلق واحيا واليه المرجع ومن اخص المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فإذا بلغك جوابي هذا فاما ان تهاجر الي انت ومن معك من الاصحاب المحبين من غير نظر اي علاقة ، وأما ان تحاصروا الترك الذين في جهتك وتجاهدوا من اغتر بزيينة الدنيا ولا رضا لنا عنكم إلا بهذين الأمرين فان فعلتم احداهما رضيانا عليكم وإلا فلا وقد تعلم انه لا يتحول احد بغير الله فلا تخافوا أعداء الله الذين تواصيههم بيد الله وأستعملوا أمر الله فيهم ولا تابوا بلاء الله لكم لتصفية الإيمان والفوز عند الرحمن فالي متي الفرار من بلاء اله الذي فيه لكم الكرامة والفخامة والله تعالى يقول (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم ألباسا والضراء وزلزلوا) وكيف لمثلك أن يركن الي الراحة وترف المترفين في دار الظالمين فأنهض همتك وقو بالله عزمك وشمر فيما يرضيه جهدك وقد ذكرتك بهذا أمثالا لأمر الله تعالى لقوله (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) هذا واذا توكلتم علي الله ورغبتم الجهاد والمحاصرة هناك فأتحدوا مع عثمان بقنة مع جميع الامرا الموجودين هناك ، ولا تخالفوا عثمان بقنة في شيء لا تستأنفوا من ذلك فإن منزلتكم عندنا معروفة وأولي التقدم المذكورين في ايثار ماعدن الله والرغبة في وسع درجات الآخرة لمعلومكم

ان ما عند الله خير وأبقى ومعلوم ان العاقل يسعى فيما هو خير لاسيما وقوة أحاطتكم بمعرفة عظمة ما عند الله ومعرفة خسة الدنيا وما فيها فلذلك لا يخفى أن المخلص في طلب ما عند الله يطيب قلبه أن يشيد الدين ويؤيده ولو مع شلكاوي وإن قصد المؤمن المصدق حوز رضاء الله والسعي فيما يقربه من الله ومن كان علي حرف من الدين فرح ان وجد الرياسة والمال والمنافع الفانية وان لم يجد ذلك نازع وأعرض اعاننا الله وأياكم من ذلك إذ أن ذلك للمنافقين الذين قصرت همتهم علي الدنيا فرضوا بها وأطمأنوا غافلين عن آيات الله تعالى ولم يجعل الدار الآخرة للمؤمنين المخلصين قال الله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا) فإرادة العلو مفهومة وإرادة الفساد أعظمها حب الدنيا إذ هي رأس كل خطيئة ولظننا ببراءة ساحتكم عن ذلك كاتبتناكم أولا من ابتداء أمر المهدية لظن الخير فيكم وقيامكم بخالص الدين وما نظن توقفكم عن الهجرة والجهاد هذا لأن يحسد الحاسدين فاذا بلغكم جوابي هذا فحققوا ظني فيكم وقد ذكرنا لكم اذا ان الكشف الصادق والدكم السيد الحسن اتا الينا مراراً وتكراراً بإمرات وبيع بعض الصفات التي تحققت فبعد هذا فمتاكم أولي بالقيام بما لله وإيثاره علي جميع المشاهي والسلام. شوال ١٣٠١ هـ.

ثبت المراجع والمصادر

- ١/ الرياطابي ، أحمد بن أحمد بن إدريس : الابانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية تحقيق الدكتور محمد إبراهيم ابوسليم ط اولي (بيروت : دار الجيل ١٩٩١).
- ٢/ أحمد محمد أحمد جلي (دكتور) طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها ط اولي (بيروت : دار خضر للطباعة والنشر ١٩٩٢).
- ٣/ الشاطر بصيلي عبدالجليل : (تحقيق مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية جمعها وكتبها أحمد بن الحاج أبو علي كاتب الشونة (الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والارشاد القومي تراثنا)
- ٤/ أحمد محمد شاموق : من هوامش الثورة والسياسة (بيروت : دار العربية للطباعة والنشر) (اغفلت تاريخ الطبع).
- ٥/ أحمد سليمان : ومشيناها خطي صفحات من زكريات شيعوي أهتدي الجزء الثاني الطبعة الأولى (الخرطوم: دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٨٦)
- ٦/ أحمد عبدالرحيم نصر (دكتور) : الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان دراسة أولية (وزارة التربية والتوجيه الشؤون الدينية والأوقاف ١٩٧٩) المطبعة الحكومية بالخرطوم .
- ٧/ أحمد عثمان ابراهيم: تطور الوعي القومي في السودان مطابع دار النيل الأزرق للطباعة والنشر ودمدني (بدون تاريخ).
- ٨/ أحمد عثمان ابراهيم : الثورة المهدية فكرة ونظرية مجلة الدراسات السودانية يصدرها معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم العدد الأول المجلد الخامس اغسطس ١٩٧٥ الصفحات (٥ - ٢٦)
- ٩/ أحمد عثمان ابراهيم : من أشعار الشايقية ط ثانية (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩٢).

- ١٠/ ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون المجلد الأول (دار البيان) ، (بلون تاريخ)
١١/ أحمد أمين : ظهر الإسلام الجزء الثاني الطبعة الرابعة (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦)
١٢/ الصادق المهدي : ويسألونك عن المهدي (بيروت : دار القضايا ١٩٧٥)
١٣/ الصادق المهدي : مستقبل الإسلام في السودان الطبعة الأولى (مؤسسة المدينة للصحافة ١٩٨٣)
١٤/ الصادق المهدي : أيديولوجية المهدي في دراسات في تاريخ المهدي المجلد الأول أعده للنشر د. عمر عبدالرازق النقر مطبوعات قسم التاريخ جامعة الخرطوم أصل هذه البحوث قدمت في المؤتمر العالمي لتاريخ المهدي الخرطوم ٢٩ نوفمبر ١٩٨١ م.
١٥/ المهدي : منشورات المهدي تحقيق محمد ابراهيم ابوسليم (١٩٦٩).
١٦/ المهدي ، الأمام : منشورات الجزء الثاني الطبعة الثالثة (الخرطوم : ادارة المحفوظات المركزية - وزارة الداخلية) يوليو ١٩٦٤
١٧/ الطيب محمد الطيب : المسيد المطبعة الأولى الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩١
١٨/ ابوالحسن علي الحسن النوي : مذكرات سائح في الشرق العربي ط اولي (مكتبة وهبة ١٩٥٤)
١٩/ الكلاباذي ، أبوبكر محمد : التعرف الي مذهب التصوف حققه عبدالحليم محمود وطه عبدالباقي سرور (القاهرة : البابي الحلبي ١٩٦٠)
٢٠/ بشير محمد سعيد : خبايا وابرار في السياسة السودانية الطبعة الأولى (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩٣).
٢١/ بابكر بدري : تاريخ حياتي الجزء الثالث (بلون تاريخ)
٢٢/ ب. م . هولت : دولة المهدي في السودان عهد الخليفة عبدالله ١٨٨٥ - ١٨٩٨ ترجمة هنري رياض وآخرون (بيروت : دار الجيل ومكتبة خليفة عطية) (بلون تاريخ)
٢٣/ تاج السر حران : فكرة المهدي عند الشيعة الاثنا عشرية في دراسات في تاريخ المهدي

- المجلد الأول أعده للنشر د. عمر عبدالرازق النقر مطبوعات قسم التاريخ جامعة الخرطوم العدد (١)
أصل هذه البحوث قدمت في المؤتمر العالمي التاريخ المهدية الخرطوم نوفمبر - ديسمبر ١٩٨١م
٢٤/ الصادق ، جعفر بن محمد عثمان : لؤلؤة الحسن الساطعة في بعض مناقب ذي الأسرار
اللامعة والفيوضات الوهية النافعة سيدنا وإستاذنا السيد محمد عثمان الميرغني (دار الوثائق
المركزية) (متنوعات / ٢٨٣) .
- ٢٥/ الميرغني ، جعفر ابن السيد محمد عثمان : رسالة الختم في بعض المبشرات في الرسائل
الميرغنية المشتملة علي اثنتي عشرة رسالة في آداب الطريقة الختمية الطبعة الثانية (مصطفى
البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٧٩) .
- ٢٦/ الصادق ، جعفر محمد عثمان الميرغني : الديوان الكبير رياض المديح ولاء كل ذي
ودصحيح وشفاء كل قلب جريح في مدح النبي المليح (ص) (ملتزم الطبع والنشر مصطفى البابي
الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣) .
- ٢٧/ جعفر محمد علي بخيت (دكتور) : الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان ١٩١٩ -
١٩٣٩ ، ترجمة هنري رياض ط اولي (بيروت : دار الثقافة والخرطوم : مكتبة خليفة عطية فبراير
١٩٧٢)
- ٢٨/ حسن مكى محمد أحمد (دكتور) الثقافة السنارية المغزي والمضمون بمناسبة مرور ٥٠٠
عام هجري علي قيام سلطنة سنار الإسلامية - جامعة إفريقيا العالمية - مركز البحوث والترجمة
اصدارة رقم ١٥) .
- ٢٩/ حسن حمد الفاتح قريب الله: التصوف في السودان الي نهاية عصر الفونج ط أولي مطبوعات
كلية الدراسات العليا بحث رقم (٢٢) جامعة الخرطوم ١٩٨٧
- ٣٠/ حسن علي الساعوري (وآخرون) : عمال السودان والسياسة (القاهرة : الاتحاد الإسلامي
الدولي للعمل ١٩٨٦)
- ٣١/ حسن نجيلة : ملامح من المجتمع السوداني ط ثمانية (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم
١٩٩١)

- ٣٢/ خالد حسين الكد : مجلة الدراسات السودانية يصدرها معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية
المجلد الثاني عشر العدد الأول ابريل ١٩٩٢ صفحات ٤٤ - ٧٦
- ٣٣/ زكي بحيري (دكتور) التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان من الأزمة الاقتصادية
العالمية حتي الاستقلال ١٩٣٠ - ١٩٥٦ ط أولي (النهضة المصرية ١٩٨٧)
- ٣٤/ علي زين العابدين : تاج الأولياء والأولياء ط أولي (بيروت : دار ومكتبة الهلال ١٩٨٤)
- ٣٥/ عبدالقادر محمود (دكتور) الفكر الصوفي في السودان مصادره وتياراته وألوانه ، ط أولي (دار الفكر العربي ١٩٦٨)
- ٣٦/ علي عبدالرحمن الأمين : الديمقراطية والاشتراكية في السودان (بيروت: منشورات المكتبة
العصرية ١٩٧٠)
- ٣٧/ عبدالرحمن المهدي : جهاد في سبيل الاستقلال أشرف علي أعداده الصادق المهدي (بدون
تاريخ) (طبع بمطابع المطبعة الحكومية الخرطوم)
- ٣٨/ علي صالح كرار (دكتور) : الطريقة الإدريسية في السودان ط أوي (بيروت : دار الجيل
١٩٩١) .
- ٣٩/ عثمان سيد أحمد (دكتور) : الختمية والأنصار (الخرطوم : الشركة السودانية للتوزيع
المحدودة) (بدون تاريخ)
- ٤٠/ عثمان دقنة: مذكرات عثمان دقنة تحقيق محمد إبراهيم ابوسليم ، ط أولي (الخرطوم : دار
التأليف و الترجمة والنشر جامعة الخرطوم ١٩٧٤)
- ٤١/ عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن (دكتور) : توشكي دراسة تاريخية لحملة عبدالرحمن النجومي
علي مصر ط أولي - الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٧٩
- ٤٢/ عبدالله حسن زروق (دكتور) : قضايا التصوف الإسلامي ط أولي (الخرطوم: دار الفكر
١٩٨٥)
- ٤٣/ الميرغني محمد عثمان: النور البراق في مدح النبي المصداق (ص) ط ثانية (الخرطوم :
المكتبة الإسلامية ١٩٨١)

- ٤٤/ الميرغني ، محمد عثمان : الأساس والراتب ط اولي (الخرطوم: المكتبة الإسلامية ١٩٨٧).
- ٤٥/ الميرغني محمد عثمان : راتب الميرغني يحتوي عي الأساس الراتب التوسلات، الشكية ، المحامد ، الاستغفار (القاهرة : دار الوطني للنشر والاعلان والتوزيع) (بدون تاريخ)
- ٤٦/ الميرغني ، محمد عثمان: المسبحة الميرغنية المشتملة علي الصلوات الاسبوعية المسماة فتح الرسول ط ثانية (ملتزم الطبع والنشر مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٩٥٧)
- ٤٧/ الميرغني ، محمد عثمان : منظومة منجية العبيد في علم التوحيد ط ثانية (المكتبة لإسلامية ١٩٩٠).
- ٤٨/ الميرغني ، محمد عثمان : مولد النبي المسمي بالاسرار الربانية أولي (الخرطوم : المكتبة الإسلامية ١٩٧٦)
- ٤٩/ الميرغني ، محمد ثمان : النفحات المكية واللمعات الحقية في شرح أساس الطريقة الميرغنية ضمن مجموعة النفحات الربانية المشتملة علي سبعة رسائل ميرغنية مصطفى الحلبي ١٩٨٠)
- ٥٠/ الميرغني ، محمد عثمان : الهبات المقتبسة لظهار المسائل الخمسة والعطايا الدقيقة في اسرار الطريقة ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية.
- ٥١/ الميرغني ، محمد عثمان : الفتح المبروك في كثير من اداب السلوك ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية في اداب الطريقة الختمية.
- ٥٢/ الميرغني، محمد عثمان : الزهور الفائقة في حقوق الطريقة الصادقة ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية في اداب الطريقة الختمية
- ٥٣/ الميرغني ، محمد عثمان : مناقب صاحب الراتب ضمن مجموعة الرسائل الميرغنية في اداب الطريقة الختمية
- ٥٤/ الميرغني ، محمد عثمان : إجازة ختمية السودان ، دار اوثائق المركزية قطعة رقم ٣١٧ / متنوعات ١/١٩
- ٥٥/ الميرغني ، محمد عثمان: ترجمة الإمام السيد محمد عثمان الميرغني المحجوب المكي دار الوثائق المركزية قطعة رقم ١١١٩ / متنوعات صنوق رقم ١/٦٣

- ٥٦/ محمد إبراهيم ابوسليم (أ. د.) : الحركة الفكرية في المهديّة ط أولي الخرطوم : جامعة الخرطوم قسم التآليف والنشر ١٩٧٠
- ٥٧/ محمد إبراهيم ابوسليم (أ. د.) : مكي الطيب شببكة ١٩٠٥ - ١٩٨٠ لجنة تأبين فقيد العلم والوطن مكي الطيب شببكة مطبعة جامعة الخرطوم
- ٥٨/ محمد إبراهيم ابوسليم (أ. د.) : السيد علي الميرغني وقيادة الختمية في بحوث في تاريخ السودان ط أولي (بيروت : دار الجيل ١٩٩٢).
- ٥٩/ محمد إبراهيم ابوسليم (أ. د.) : العلماء في بحوث في تاريخ السودان ط أولي (بيروت : دار الجيل ١٩٩٢)
- ٦٠/ مكي شببكة (دكتور) : السودان والثورة المهديّة الجزء الأول من موقعة ابا الي حصار الخرطوم ط أولي (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٧٨)
- ٦١/ مكي شببكة (دكتور) : السودان عبر القرون (بيروت : دار الثقافة ١٩٦٧)
- ٦٢/ محمد عمر بشير (أ. د.) : العلاقة العربية الإفريقية دراسة تحليلية جامعة الخرطوم معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية ١٩٨٤ م
- ٦٣/ محمد عمر بشير (أ. د.) : تاريخ الحركة الوطنية في اسودان ١٩٠٠ - ١٩٦٩ (الخرطوم : الدار السودانية للكتب) (بدون تاريخ).
- ٦٤/ محمود عبدالله برات : تعليم الفتاة في السودان (أهدافه ومناهجه من منظور إسلامي) في الإسلام في السودان اعد المقالات للنشر مدثر عبدالرحيم - الطيب زين العابدين ط أولي (الخرطوم : دار الاصاله ١٩٨٧) بحوث من المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية ١٩٨٢
- ٦٥/ محمد أحمد الحاج (دكتور) : المهديّة وأثرها الديني في السودان في الإسلام في السودان اعد القالات للنشر مدثر عبدالرحيم والطيب زين العابدين ط أولي (الخرطوم : دار الاصاله ١٩٨٧) المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية بالخرطوم
- ٦٦/ محمد فؤاد شكري (دكتور) : مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ١٨٢٠ - ١٨٩٩ ط ثانية (دار المعارف بمصر ٩٥٨)

- ٦٧/ محمد أحمد كزار: الأحزاب السودانية والتجربة الديمقراطية (الخرطوم: دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٨٥).
- ٦٨/ محمد إبراهيم الطاهر: تاريخ الانتخابات البرلمانية إصدار بنك المعلومات السوداني (بدون تاريخ)
- ٦٩/ محمد أحمد محجوب: الديمقراطية في الميزان ط الثالثة - الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٩)
- ٧٠/ محمد بسيمان صالح ضرار: أمير الشرق ط أولي (الدار السودانية الكتب) طبع بمطابع مذكور (بدون تاريخ)
- ٧١/ محمد محجوب مالك: المقاومة الداخلية لحركة المهديية ١٨٨١ - ١٨٩٨ ط أولي (بيروت: دار الجيل ١٩٨٧)
- ٧٢/ مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطي ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠).
- ٧٣/ مدثر علي البوشي: البعث الوطني وروافد الزحف (الخرطوم دار الفكر الحديث) (بدون تاريخ)
- ٧٤/ محمد أحمد حامد محمد خير: الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج ط ثانية (الخرطوم: دار المأمون ١٩٨٧)
- ٧٥/ محمد أحمد حامد محمد خير: براءة الشيعة من مفتريات الوهابية (اغفلت تاريخ الطبع واسم الناشر)
- ٧٦/ محمد الخليفة طه الريفي: السادة المراغنة (الخرطوم: المكتبة الإسلامية ١٩٨٢) إصدار هيئة الختمية للدعوة والإرشاد الإسلامي طبع بمطبعة التمدن
- ٧٧/ نعيم شقيير: تاريخ السودان الحديث ج الثالث (بدون تاريخ)
- ٧٨/ نور الدائم ، عبدالمحمود: المناقب الصغري لسيدني الشيخ أحمد الطيب بن البشير (بدون تاريخ)

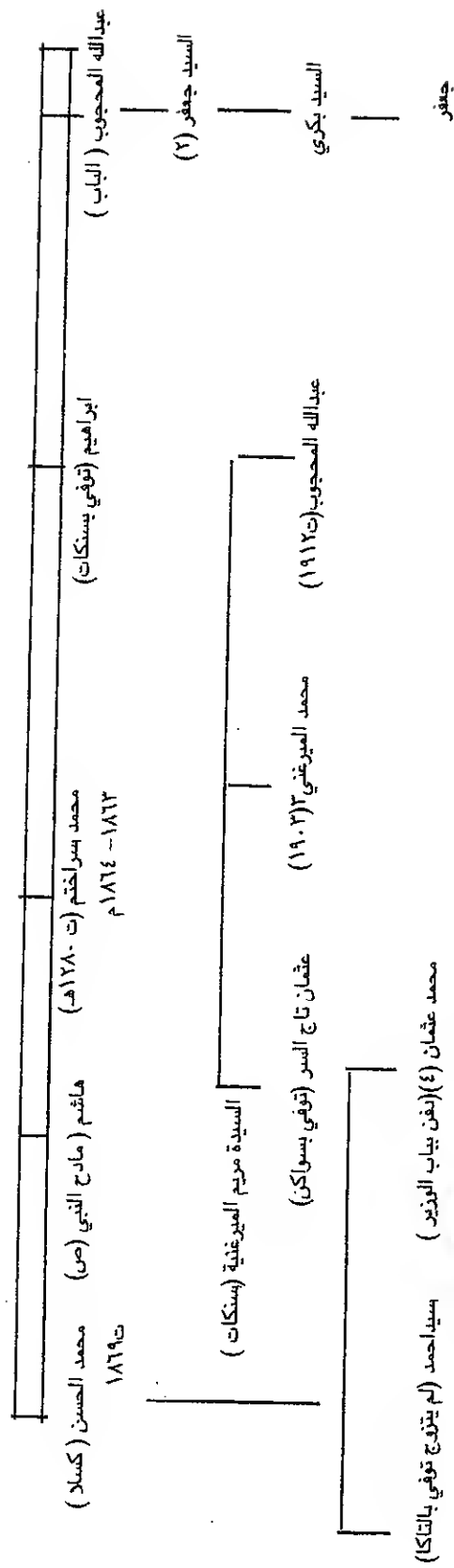
- ٧٩/ يوسف فضل حسن (بروفيسر) : دراسات في تاريخ السودان الجزء الأولي. أولي (الخرطوم : جامعة الخرطوم دار التأليف والنشر ١٩٧٥)
- ٨٠/ يوسف فضل حسن (بروفيسور) : من معالم تاريخ الإسلام في السودان (الخرطوم: دار الفكر للطباعة والنشر) مؤتمر الإسلام في السودان / جماعة الفكر والثقافة الإسلامية
- ٧١/ يوسف فضل حسن (بروفيسر) : الشلوخ أصلها ووظيفتها في السودان وادي النيل الأوسط ط ٢ (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٩)
- ٨٢/ النبھاني ، يوسف بن اسماعيل : جواهر البحار في فضائل النبي المختار (صلى الله عليه وسلم) الجزء الثاني (مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٠) .
- ٨٣/ النبھاني ، يوسف بن إسماعيل : جامع كرامات الأولياء (بنون تاريخ) ثانيا الرسائل الجامعية :
- ١/ الناصر ابوكروقي : تاريخ مدينة كسلا ١٨٨٣ - ١٨٩٧ م - ماجستير كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٦٧ - مطبوعة علي الآلة الكاتبة
- ٢/ أحمد عثمان محمد ابراهيم : الجزيرة خلال المهدي ١٨٨١ - ١٨٩٨ م - ماجستير كلية الآداب - جامعة الخرطوم ١٩٧٠ - مطبوعة علي الآلة الكاتبة.

ثالثا: المقابلات :

- ١/ السيد/ أحمد بن محمد عثمان بن أحمد بن محمد عثمان الميرغني : (مواليد ١٩٥٧) محاضر بكلية الطب جامعة امدرمان الإسلامية - (مقابلة عن العلاقة بين أسرة السيد احمد والسيد علي الميرغني ومواقف أسرة السيد محمد عثمان (شمبات) الدينية والسياسية في الطريقة الختمية) في منزله بشمبات قرب كلية الزراعة جامعة الخرطوم ١٩٩٦/١٠/١٩
- ٢/ الشيخ حسن بن الشيخ محمد الفاتح قريب الله شيخ السجادة السمانية : (مقابلة عن المهدي وصلتها بالسمانية) بمنزله بوندوباوي بآم درمان أبريل ١٩٩٦
- ٣/ الخليفة/ محمد نور الببوي حامد علي صالح : (مواليد ١٩٢٨) - مقابلة عن الكرامة عند الختمية - بمنزله بأمبدة (١٢) بتاريخ ١٩٩٦/١٠/٢٧ م

- المراجع باللغة الانجليزية :
- 1/J.S.R. Dulkan : The Sudan,s path to Independence William Black wood and sons Ltd Edunburch , London 1957
 - 2/ J. O. Voll: A history of the Kh atmiyya Tarigah in the Sudan Harvard University 1969
 - 3/ Ali Salih Karrar : Sufi brother hoods in the Sudan , first published London C. Hurst and,Co.(Publishers)
 - 4/ Gabriel Warburg : The Sudan under Wingte , A dministration in the Anglo -Egu[tion , Sudan 1899 - 1916 Frank Cass and Co. Ltd(1971)

ملحق رقم (٩)
مشايخ الطريقة الختمية (١)
السيد محمد عثمان (الختم) (ت ١٨٥٢)



حمد عثمان الميرغني المحجوب (دار الوثائق المركزية) قطعة رقم ١١٩ رقم الصنف ٦٢ منوعات
حمد حامد محمد خير ، الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج ص (٤٣)
مادق وله ديوان شعر في مدح الرسول (ص)
يقال له محمد الميرغني تمييزاً عن ابيه